إضاءات ...

الإيجاز في الألفاظ

عيسى إبراهيم السعدي



دار الحسن للنشر والتوزيع

الإيجاز في الألفاظ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٤٨٨٦ / ١١ / ٢٠٠٩)

٣٠٦

السعدي ، عيسى إبراهيم
إضاءات: الإيجاز في الألفاظ / عيسى إبراهيم السعدي.ـ
عمان: دار الحسن للنشر، ٢٠٠٩
(١٦٠) ص.
ر.أ: ٤٨٨٦ / ١١ / ٢٠٠٩
الواصفات: / الثقافة الجماهيرية // الأدب العربي /

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-10-035-3 (ردمك)

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها



دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ ـ فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ ـ ص.ب ١٨٢٧٤٢ ـ عمان ١١١١٨ الأردن
e.mail: alhassanpub@hotmail.com

إضاءات ...

الإيجاز في الألفاظ

عيسى إبراهيم السعدي



ISBN 978-9957-10-035-3


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

«ابدأ بنفسك أولاً»

«الخطأ زاد العجول»

«المرء حيث يضع نفسه»

لكل طالب علم وأدب وثقافة

ومعرفة وذوق وحس وأخلاق

لكل من أهوى، وأحب، وأقدر، وأنصح:

أهلي، أقاربي، أحبابي، أصحابي، معارفي

وإليها . . .

«ومَن لانت كلمتُه وجبت محبّتُه»

ومن الله سبحانه وتعالى: التوفيق والنجاح والفلاح والخير، كلُّ الخير

المؤلف

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أيّها القراء الكرام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أحييكم أجمل تحية وأضع بين أيديكم ونصب أعينكم، كتابي التاسع في سلسلة: «إضاءات». والذي جاء تحت عنوان:

الإيجاز في الألفاظ

واللفظ الموجز الجيّد، إذا جاء بلا عِوَج ولا خطأ، ولا غرابة أو تعقيد أو تكلف، معدود المفردات، مؤدياً معنى عاماً أو خاصاً، سلس اللفظ، عذب الموسيقى، عماده النفع والخير والنموذج الذي يُحتذى، فقد أصاب الهدف.

والأمثلة على ذلك عديدة، منها المفاضلة بين جرير والفرزدق والأخطل:

قال شبّة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر.

وقال خالد بن صفوان:

أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً، وأشدهم ميلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلاهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق.

وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فوتاً، الذي إن هجا وضع وإن مدح رفع، فالأخطل.

وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكهم لعدوه ستراً، الأغر الأبلق، الذي إن طلب لم يُسبق، وإن طُلب لم يُلحق، فجرير.

وكلهم ذكيّ الفؤاد، رفيع العماد، وارِي الزناد.

وقد جاء الكتاب: «الإيجاز في الألفاظ» في سبعة أبواب رئيسة:

الباب الأول:

تناولت فيه الحديث عن اللفظ والمعنى، والجاحظ، والإيجاز في الألفاظ، وأشراف الكتاب، وصفة الكاتب.

الباب الثاني:

«فنون بلاغية»، محور الحديث في هذا الباب، ومن ضمنه، علوم البلاغة:

- المعاني.
- البيان.
- البديع.

الباب الثالث:

المثل، ومن الأمثال «أنجز حرٌّ ما وعد»، وكان هذا الباب بيت القصيد، وقد أخذ نصيب الأسد، في بيان المقصود به، ونماذج مختارة وعديدة له.

الباب الرابع:

وتحدثت في هذا الباب عن:

المقصود بالحكمة.

روائع الحكمة.

الحكمة في القرآن الكريم والحديث الشريف.

والحكمة في الشعر العربي البديع.

الباب الخامس:

واختص هذا الباب بتناول بعض الأقوال التي طبّقت شهرتها الآفاق، مذ قيلت في زمانها ومكانها.

ومن أعلامها:

حاتم الطائي وابنته «سفانة».

قس بن ساعدة الإيادي.

وصيّة أعرابيّة لابنتها.

امرؤ القيس، والخنساء، وحسّان بن ثابت، وجرير.

علي بن أبي طالب، وعمر، وعثمان، رضوان الله عليهم.

الباب السادس:

وهو عبارة عن مقتطفات من بستان ألفاظ لغتنا العربية الجميلة، مثل:

من فرائد اللغة العربية، ومختارات من فقه اللغة للثعالبي، وشوارد الأوزان والألفاظ، والموجز من الأمثال، كما أودعنا فائدة لطيفة عن (ما) الاسمية والحرفية.

الباب السابع:

«التوقيعات» هذه الألفاظ الجميلة والموجزة، والتي حملت معانٍ ساميةٍ وأنموذجاً يحتذى، على مرّ العصور، ومنها:

«داو جرحك لا يتسع».

كانت مدار حديثنا في كتابنا وفي بابه السادس تحديداً.

الباب الثامن:

مسك الختام، كان هذا الباب، وقد اشتمل على عدة مواضيع، هامة وعظيمة النفع والفائدة، لمن هوى الألفاظ والأقوال البديعة. ومن سار على نهج:

«خير الكلام ما قلّ ودلّ».

وقليل القول يُغني عن كثيره ـ في معظم الأحيان ـ ومنها:

الأمثال في شعر المتنبي، وأنصاف أبيات، ومختارات من كتابَي: «العقد الفريد» لابن عبد ربه، و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر.

أرجو الله أن ينفع به، ويكتب لي عديدة سبقته، ضمن سلسلة: إضاءات وغيرها، الناشئة وكلَّ طالب علم نافع وأدب لامع، وثقافة موروثة، ومعارف مطلوبة، وأخلاق مرغوبة، وألفاظ معدودة وموزونة نادرة وزاهرة ومتألقة، انتظمت في عقد، حلقاته الدرر والجواهر واللآلي، والتي طغى بريقها ولمعانها وأصالتها كل بريق باقٍ.

والله الموفق والناصر والمعين.

المؤلف

الباب الأول

اللفظ والمعنى

- قضية اللفظ والمعنى .
- الجاحظ:
  - نشأته وحياته وعلمه .
  - صفاته الخلقية
  - خصائص أسلوبه .
  - وصفه للكتاب وفضائل الكتابة .
- الإيجاز في الألفاظ .
- أشراف الكتاب .
- صفة الكاتب .
- قولهم في الأقلام .

اللفظ والمعنى[1]

قضية اللفظ والمعنى، قضية قديمة حديثة، تناولها بالبحث والحديث، عدد كبير من الأدباء والكتاب والنقاد والمثقفون وغيرهم.

اللفظ:

١ـ وقف فريق يدافع عن اللفظ مبيناً أنه الأساس والأهم في النص، ودعّم رأيه باشتمال اللفظ على العديد من المحسنات البديعية وغيرها من المحاسن. من طباق وجناس وتورية وتشبيه وكناية، وما إلى ذلك.

ونحن نطرح وجهة نظر فريق اللفظ ـ إن صحّ هذا التعبير ـ لا بد أن ننوه لما يلي:

ـ اللفظ المطبوع:

وأعني به ذلك اللفظ الذي يأتي مطبوعاً وليس متكلفاً، مصطنعاً.

وقد امتلأت صفحات كتب لغتنا العربية الجميلة، بالعديد من الأمثلة البديعة، على هذا اللون البديع من لغتنا وأدبنا ـ شعره ونثره ـ

وعلى سبيل المثال، نطالع ما يلي:

جراحات السّنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللّسان

غزال زانه الحَوَر ... وساعد طرفه القَدَر

يريك إذا بدا وجهاً ... حكاه الشّمس والقمر

---

(١) تحدث ابن طباطبا في كتابه «عيار الشعر» عن الألفاظ والمعاني ووزعها على ثلاثة أقسام: ما حسن لفظه وجاد معناه، أو معناه دون لفظه، وما تأخر لفظه ومعناه.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وإنمـــــا أولادنـــــا بيننـــــا أكبادنـــــا تمشـــــي علـــى الأرض

فلو أمعنا النظر والفكر في هذه اللوحة الفنية الشعرية الجميلة، ترى وتحس جمال المحسنات البديعية، التي وردت فيها:

السّنان ـ اللّسان (جناس)، الحوَر ـ القَدَر (جناس).

الشمس ـ القمر (طباق)، الخبيث ـ الطيب (طباق).

وانظر جمال التشبيه في البيت الأخير:

وقد شبّه الأولاد بالأكباد، وحذف أداة الشبه ووجه الشبه، فالتشبيه هنا مفرد، بليغ.

ـ والنوع الثاني ما ظهر فيه التكلف جلياً، بقصد أو بدون قصد. هذا التكلف المصطنع يمجه القارىء والسامع على حد سواء.

ومثاله قول القائل:

«أيها القاضي بقُم، قد عزلناك فقُم».

ألا تتفق معنا، أن ضرورة الإتيان بهذا النوع من المحسنات البديعية، جعل قائله يعزل القاضي، مع أن عزله وبقاءه ليس منوطاً به.

وإنك لتجد الكثير من الأمثلة على هذا النوع من الأدب المصطنع ـ إن سُمّي أدباً ـ.

٢ ـ والفريق الثاني اعتبر أن المعنى، هو الأساس والأهم في قضية اللفظ والمعنى.

ودافع عن رأيه هذا، بأن اللفظ سهل المنال، في حين الإتيان بالمعنى الجيد والقوي والمؤثر، ليس من السهولة بمكان، ولن يقدر عليه إلا كلّ متمرس ومتمكّن من اللغة والأدب والبيان والثقافة وغيرها.

وأخذ على الفريق الأول، اشتمال بعض الألفاظ على تعقيد لفظي، ووجود الحوشي

والغريب من الألفاظ.

ورجّح آخرون، تناول اللفظ الجيّد والمعنى الجيّد قدر الإمكان.

وتحدث الجاحظ بشيء من التفصيل عن قضية اللفظ والمعنى، في ثنايا كتبه، مطالباً بالجودة في اللفظ والمعنى.

يقول الجاحظ:

«المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، كأنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير».

وبالنسبة لقضية اللفظ والمعنى، وقف النقاد المحدثون عند هذا النص:

ـ فمنهم من رأى أن الجاحظ يفصل بين اللفظ والمعنى، ويعدهما عنصرين مستقلّين عن بعضهما.

ـ ومنهم من رأى أن المعنى هنا ما هو إلا «المادة الأولية» التي يقصد بها الموضوع قبل أن يتم تناوله تناولاً أدبياً، كأن يتم قول قصيدة في منظر ما، والمنظر موجود قبل قول هذه القصيدة.

ـ وليس في العربية من كتب عن قيمة صداقة الكتاب، عشرات الصفحات، كما فعل الجاحظ، في مقدمة كتاب «الحيوان».

فمن هو الجاحظ؟

الجاحظ

هو الأديب أبو عثمان، عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ ـ لجحوظ عينيه ـ.

ولد بالبصرة سنة ١٦٠ هـ، وتوفي أبوه وهو طفل، وتعلّم في أحد كتاتيب البصرة، وقد شوهد وهو صغير يبيع الخبز والسمك بأحد أنهار البصرة، ولكن نفسه تطلعت إلى العلوم. تلقى الفصاحة شفاهاً من العرب في البادية، واتصل بعلماء الدين والأدب الذين كان عصره يزدهر بهم.

وكان الجاحظ ذا ثقافة واسعة، عالماً، متفلسفاً، أديباً، وقد كتب في الحيوان والنبات والأخلاق والاجتماع. فألّف العديد من الكتب القيمة. وإذا قرأت له كتاب: «البخلاء» أو «البيان والتبيين» قلت عنه أديباً، وإذا قرأت له كتاب: الحيوان قلت عنه عالماً.

ومن صفاته الخلقية:

اشتهر الجاحظ بخفة روحه ولطف حديثه، وسرعة تخلصه من المأزق بالدعابة.

ويعد الجاحظ رأس مدرسة في الكتابة، بما امتاز به من أسلوب ممتاز ومميز، انفرد بها، وحاكاه فيها عدد من الأدباء والكتاب.

وأهم خصائص أسلوبه:

١ ـ الموسيقا: يقول الجاحظ في مقدمة كتاب «الحيوان»:

«جنّبك الله الشبهة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً، وحبّب إليك التثبت، وزيّن في عينيك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحق...».

فتلاحظ الإيقاعات الصوتيّة التي أقامها الجاحظ من خلال المساواة بين الجمل معتمداً التقسيم والتشابه أو التماثل بين الألفاظ.

جنّبك وعصمك وجنّب وزيّن.

٢ ـ الواقعية: نقل الجاحظ صور الحياة التي عاشها بصدق، كما هي بلا تحريف ولا تزييف، فقد صوَّر الطبقات الاجتماعية، وما فيها من جد ولهو وطهر وعظمة ودناءة. كما تحدَّث عن العامة والخاصة.

٣ ـ الاستطراد: ولعلَّ ما دعاه لذلك، إزاحة الملل عن القارئ والسامع، فتراه ينتقل من موضوع لآخر، فمثلاً يتحدث عن الشعر فالفلسفة فالحيوان وغير ذلك.

٤ ـ الاحتجاج والجدل: وربما عاد السبب في هذا الأسلوب من الجاحظ إلى ثقافته الاعتزالية والفلسفية، مع اهتمامه الكبير بالحوار والجدل والاحتجاج للآراء المتعارضة. كما ظهر ذلك في بعض رسائله مثل:

رسالة في «السودان والبيضان»، ورسالة في «ذم الكتّاب»، ورسالة في «مدح الكتّاب».

مثال من نثره

قال يعاتب صديقاً له:

- «والله يا قُليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة، وروحي بك مجروحة، لساجلتك هذه القطيعة، وماددتك حبل المصارمة، وأرجو الله أن يديلَ صبري من جفائك، فيردك إلى مودتي وأنفُ القِلى راغم؛ فقد طال العهد بالاجتماع، حتى كدنا نتناكر عند اللقاء».

صفاته وأخلاقه[1]

«كان أبو عثمان، دميم الخلقة، جهْم الوجه، جاحظ العينين ـ ومن ذلك لقب لقبه ـ؟ حتى قيل: إن الخليفة المتوكل سمع بمنزلته من العلم والفهم فاستقدمه إليه «بسر من رأى»،

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات.

ليؤدب ولده، فلما رآه استبشع منظره، وصرفه بعشرة آلاف درهم. وكان في الجاحظ دُعابة ومجانبة واستخفاف بالعادات المرعيّة والآداب الوضعية، ولكنه كان لطيف الروح ذكي الفؤاد، فكه المحاضرة، صادق المواساة».

وصف الجاحظ للكتاب

«.. والكتاب وعاء ملء علماً، وظرف حُشي ظرفاً، وإناء شُحن مُزاحاً وجِداً، إن شئت كان أبينَ من سحبان وائل، وإن شئتَ كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكتَ من نوادره، وإن شئت عجبتَ من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئتَ أشجتك مواعظه.

ومن لك بواعظ ملْهٍ، وبزاجرٍ مغرٍ، وبناسكٍ فاتك، وبناطق أخرس، وبارد حار. وفي البارد الحار يقولُ الحسن بن هانئ: [من المنسرح]

قُل لزهير إذا انتحى وشدا ... أقلِلْ أو أكْثِر فأنت مهذارُ[1]

سخُنت من شدّة البرودة حتى صرت عندي كأنّك النّارُ

لا يعجب السّامعون من صفتي ... كذلك الثّلج بارد حار

والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملّك، والمستميح الذي لا يستريثك[2]، والجار الذي لا يستبطيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب. والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بنانك، وفخّم ألفاظك، وبجّح[3] نفسك، وعمّر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفتَ به في شهر، مالا تعرفه من أفواه الرجال في دهر..

والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في

---

(١) الأبيات في «ديوان أبي نواس» (٥٤٥)، و«عيون الأخبار» (٢ / ٧)، و«العقد الفريد» (٦ / ٧٥).

(٢) استراث: استبطأه (اللسان: ريث). المستميح: طالب العفو.

(٣) بجّح: فرّح. (اللسان: بجح).

الحضر ، ولا يعتلُّ بنوم، ولا يعتريه كلال السّهر.

وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يخفرْك[1]، وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة»[2].

فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ:

«ما رأيت قوماً أنفذ طريقةً في الأدب من هؤلاء الكتاب، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً.

وقال بعض المهالبة لبنيه:

تزيوا بزيّ الكتّاب فإنهم جمعوا أدب الملوك وتواضع السوقة.

وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر بحبسهم، فرفعوا إليه رقعة ليس فيها إلا هذا البيت:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم.

* * *

(١) الخفر: شدة الحياء. (اللسان: خفر).

(٢) الحيوان: الجزء الأول، الجاحظ.

الإيجاز في اللفظ

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه:

«.. أشرف الكلام كلّه حسناً، وأرفعه قدراً، وأعظمه من القلوب موقعاً، وأقلّه على اللسان عملاً، ما دلّ بعضه على كلّه، وكفّر قليله عن كثيره، شهد ظاهره على باطنه، وذلك أن تقل حروفه، وتكثر معانيه. ومنه قولهم: ربّ إشارة أبلغ من لفظ.

لأبرويز ثم لصحابي ثم للنبي ﷺ.

قال أبرويز لكاتبه: اجمع الكثير مما تريد من المعنى، في القليل مما تقول. يحضّه على الإيجاز وينهاه عن الإكثار في كتبه.

ألا تراهم كيف طعنوا على الإسهاب والإكثار حتى كان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من الإسهاب! قيل له: وما الإسهاب؟ قال: المسهب الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقر[1]، ويشول به شولان الروق[2].

وقال النبي ﷺ:

«أبغضكم إليّ الثرثارون المتشدّقون».

ويتبيّن قدامة بن جعفر صفات اللفظ الجيّد، فيقول[3]:

«أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها.

---

(١) الباقر: جماعة البقر.

(٢) الروق: القرن والرمح.

(٣) دراسات في النقد الأدبي: رشيد العبيدي.

وأن يكون عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة».

ثم يأتي بأمثلة كثيرة منها:

بكــــرت سميّـــة بكــــرة فتمتـــع	وغـــدت غـــدوّ مفـــارق لم يربـــع
وتـــزوّدت عـــيني غـــداة لقيتـــها	بلـــوى البنينـــة نظـــرة لم تُقلـــع
وتصدفت حـــتى اســتبتك بواضــح	صلت كمنتصــب الغــزال الأتلــع
وبمقلـــتي حـــوراء، تحســـب طرفهـــا	وســـنان حـــرة مســـتهل الأدمـــع
وإذا تنازعــــك الحـــديث رأيتـــها	حســـناً تبســـمها لذيـــذ المكـــرع

العرب والإيجاز

ولم أجد أحداً من السلف يذم الإيجاز ويقدح فيه ويعيبه ويطعن عليه. وتحب العرب التخفيف والحذف، ولهربها من التثقيل والتطويل كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور، وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن، لأن الحركة عمل والسكون راحة.

وفي كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصار عندهم أحمد في الجملة، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له. وقد تومىء إلى الشيء، فتستغني عن التفسير بالإيماءة، كما قالوا: لمحة دالة»[1].

أول من وضع الكتابة

أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبه في الطين ثم طبخه، فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق وجد كل قوم كتابهم، فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب[2].

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي

(٢) المرجع السابق.

تفسير الأمّيّ

فأما الأمّيّ فمجازه على ثلا ثة وجوه:

قولهم أمّيّ، منسوب إلى أمّة رسول الله ﷺ، ويقال:

رجل أمّيّ، إذا كان من أم القرى.

قال الله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فإنما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب. والأمّيّة في النبي ﷺ فضيلة، لأنها أدل على صدق ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده[1].

شرف الكتّاب وفضلهم

بعض ما أثر في فضلهم

فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه ﷺ:

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٤ - ٥].

وقوله تعالى: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١].

وقوله: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ [عبس: ١٥ - ١٦].

وللكتّاب أحكامٌ بيِّنة، كأحكام القضاة، يُعرفون بها، ويُنسبون إليها، ويتقلّدون التدبير وسياسة الملك بها دون غيرهم، وبهم يقام أود الدين، وأمور العالمين[2].

* * *

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي.

(٢) المرجع السابق.

أشراف الكتّاب

كَتَبَ له عشرة كتاب

علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد بن العاص، وأبو سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، وزيد بن ثابت، والعلاء بن الحضرمي، ومعاوية بن أبي سفيان[1]، فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام[2].

***

صفة الكاتب

لإبراهيم الشيباني في معنى هذا العنوان

قال إبراهيم بن محمد الشيباني:

- من صفة الكاتب اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم[3]، وكثافة اللحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشمائل، وحسن الإشارة، وملاحة الزي، حتى قال بعض المهالبة لولده:

تزيّوا بزيّ الكتّاب، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة.

---

(١) كذا في أكثر الفصول، وهم على هذا أحد عشر.

(٢) العقد الفريد: ابن عبد ربه.

(٣) اللهزمتان: مضغتان في أصل الحنك.

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب: من كمال آل الكتابة أن يكون الكاتب:

نقيّ الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة، لطيف المسالك، مستقر التركيب، ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة، متفاوت الأجزاء، طويل اللحية، عظيم الهامة، فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة.

وقال شاعر:

عليك بكاتب لبق رشيق ... ذكي في شمائله حرارة

تناجيه بطرفك من بعيد ... فيفهم رجع لحظك بالإشارة[1]

* * *

(١) صبح الأعشى (١ / ٦٧): محمد بن إبراهيم الشيباني.

قولهم في الأقلام[1]

لبعضهم في الأقلام ثم لأبي الحسن الهاشمي

قالوا:

القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات مختلفة، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة، متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحُها التفكير، ونتاجها التدبير، تخرُس منفردات، وتنطق مزدوجات، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسن محدودة، ولا حركات ظاهرة، خلا[2] قلم حرّف باريه قطته ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليُردّ ما انتشره عنه إليه، وشقّ رأسه ليحتبس المداد عليه، فهنالك استحد القلم بشقّه، ونثر في القرطاس بخطه، حروفاً أحكمها التفكر، وجرى على أسلته الكلام، الذي سوّاه العقل، وألحمه اللسان، ونهسته اللهوات، وقطعته الأسنان، ولفظته الشّفاه، ووعته الأسماع، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء.

وقال الشاعر أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

وأسمر طاوي الكشح أخرس ناطق	له ذملان في بطون المهارق[3]
إذا استعجلتْه الكفّ أمطر وبله	بلا صوت إرعاد ولا ضوء بارق
إذا ما حدا غرَّ القوافي رأيتها	مُجليّة تمضي أمام السّوابق
كأنّ عليه من دُجى الليل حُلّةً	إذا ما استهلّت مزنة بالصّواعق

(١) يريد أنها لا تنطق بأصوات وألسن وحركات وإنما نطقها بالقلم.

(٢) العقد الفريد: ابن عبد ربه.

(٣) الذملان: ضرب من السير، وقيل هو السير اللين.

كـــأنّ الـــلآلي والزبرجـــد نُطقَـــه ونور الخُزامـــى في عيـــون الحـــدائق

وقال حبيب بن أوس وهو من أحسن ما قيل فيه:

لك القلم الأعلـى الـذي بشـباته يصاب من الأمر الكُلـى والمفاصـل

لعـاب الأفـاعي القـاتلات لعابـه وأري الجنى اشـتارته أيـد عواسـل

فصِح إذا اسـتنطقته وهـو راكـب وأعجم إن خاطبتـه وهـو راجـل

إذا امتطى الخمس اللطاف وأفرغـت عليه شعاب الفكـر وهـي حوافـل

أطاعته أطـراف القنـا وتقوضـت لنجواه تقـويض الخيـام الجحافـل

إذا استغزر الذهن الجلـي وأقبلـت أعاليه في القرطـاس وهـي أسـافل

وقد رفدتـه الخنصـران وسـدّدت ثلاث نواحيـه الثـلاث الأنامـل

رأيت جليلاً شـأنه وهـو مرهـف ضنىً وسميناً خطبُـه وهـو ناحـل

***

الباب الثاني

فنون بلاغية

علوم البلاغة:

- المعاني وأبوابه
- البيان وأركانه
- البديع وأقسامه:
  - الإيجاز
  - الإطناب
  - المساواة

علوم البلاغة

تشتمل علوم العربية، على العديد من الدرر والجواهر، وقد امتلكت هذه اللغة بها، ناصية الفصاحة والبيان.

وتعتبر الفنون البلاغية من أعظم علوم العربية، فيها يُهتدى إلى حسن اللفظ وجودة المعنى.

قال أحد البلغاء:

لا يوصف الكلام بالبلاغة حتى يسابق لفظه معناه، ومعناه لفظه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك.

وقال أحمد بن سليمان:

أحسن الكلام ما لا تمجّه الآذان، ولا تتغيّب فيه الأذهان.

وإنَّ طالبَ البلاغة يحتاج لمعرفة النحو والصرف واللغة والعروض. وملكة اختيار اللفظ الفصيح والمعنى البديع.

وعلوم البلاغة ثلاثة، وهي:

- المعاني
- البيان
- البديع

* * *

أولاً: علـم المعاني

وهو عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمثل يقول: لكل مقام مقال.

ولا بد للكلمة أن تكون مألوفة، بعيدة عن الغرابة وتنافر الحروف والتعقيد وحوشي الكلام. وخير الكلام ما لاقى قبولاً لدى الآذان والأذهان.

وفي رأي المأمون:

«هو ما فَهِمته العامة ورضِيَته الخاصة».

ومن أبواب علم المعاني:

- الخبر والإنشاء.
- الذِّكر والحذف.
- الإيجاز والإطناب.

***

ثانياً: البيـان

وهو مجال فسيح، يتبارى في ميدانه رواد الفصاحة والفكر والنهى وفرسان البلاغة، ومحاسن اللغة، في اللفظ والمعنى.

قال الله تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ — ٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ من البيان لسحراً».

وأركان البيان ثلاثة:

- التشبيه.

- المجاز.

- الكناية.

ومن أمثلة التشبيه، قول الشاعر:

الأرضُ ياقوتـــةٌ والجـــوُ لؤلـــؤةٌ   والنبـــتُ فـــيروزجٌ والمـــاءُ بلُّـــورُ

ويطلق على هذا التشبيه، التشبيه البليغ (لأن أداة الشبه محذوفة، وكذلك وجه الشبه محذوف).

***

ثالثاً: البديـع

بلغ الترف معظم جوانب الحياة في العصر العباسي، فابتكر الأدباء البديع، تزويقاً لشعرهم وتزييناً لنثرهم.

ومن البراعة بمكان أن البعض نافس غيره في الصناعة، حتى صاروا ينظمون ويكتبون بألفاظ كل حروفها معجمة، أو مهملة.

ومثال النوع الأول قول أحدهم:

أعـدُّ لحسّادك حـدّ السّلاح　　　وأورد الآمِلَ في وِرد السَّماح

ومثال النوع الآخر، قول أحدهم:

فتنتني بجبين　　　كهلال السَّعد لاح

ويقسم هذا العلم إلى:

ـ محسنات معنوية.

ـ محسنات لفظية.

المحسنات المعنوية:

وتشمل وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوجوه ما يرجع منها إلى تحسين المعنى، ويُسمى:

«المحسنات المعنوية».

ومن المحسنات المعنوية.

ـ حسن الابتداء.

ـ التورية.

ـ الطباق.

ـ المقابلة.

ـ المبالغة.

ـ مراعاة النظر.

ومن أمثلة المبالغة، قول المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياكَ لم ترَني

المحسنات اللفظية:

وتشمل وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، هذه الوجوه ترجع إلى تحسين اللفظ وتسمى:

«المحسنات اللفظية». ومنها:

ـ الجناس: التام والناقص والمصحّف.

ـ الاقتباس.

ـ السجع.

ومثال الجناس التام:

أرخين من فوق النّهود ذوائباً ... فتركن حبّات القلوب ذوائباً

الجناس في قوله: ذوائب (من الشعر)، وذوائب (من الذوبان).

والجناس: اتفاق اللفظان في النطق واختلافهما في المعنى.

والجناس التام: ما اتفق فيه اللفظان في:

نوع الحروف، والشكل، والعدد، والترتيب.

والجناس الناقص: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من أمور الجناس التام الأربعة ـ سالفة الذكر.

ومثاله:

أشكو وأشكر فعله ... فاعجب لشاكٍ منه شاكر

فالجناس الناقص في قوله:

أشكو وأشكر، وشاكٍ وشاكر.

لاختلاف نوع الحروف في أشكو وأشكر.

وعددها في شاكٍ وشاكر.

وفي بيت الشعر:

والحسن يظهر في شيئين رونقه ... بيتٌ من الشِّعْر أو بيت من الشَّعَر

الجناس الناقص لاختلاف الشكل.

ومثال المصحّف قول الشاعر:

من بحر جودك أغترف ... وبفضل علمك أعترف

وقول الطائي:

بيض الصّفائح لا سود الصّحائف في ... متونهنّ جلاء الشّك والرّيب

وقوله تعالى:

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٦].

والسجع: توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأحسنه ما توافقت فقره، نحو:

وأيّ شيء أطيب من ابتسام الثغور، ودوام السرور، وبكاء الغمام، وسجع الحمام.

وما يهمنا ونحن في هذه العُجالة ـ في الحديث عن فنون بلاغية ـ أن نحيط بشيء عن:

ـ الإيجاز.

ـ الإطناب.

ـ المساواة.

***

الإيجاز والإطناب

لتوضيح فكرة ما طريقان:

طريق تلجأ فيه للإيجاز، وآخر للإسهاب.

ولكل من النوعين مكان يليق به وموضع يحسن فيه.

سئل أبو عمرو بن العلاء:

هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم، ليُسمع منها.

وسئل: هل كانت توجز؟ قال: نعم، ليحفظ عنها.

ومدار الأمر على الإفهام والتفهم، وخير الكلام ما شاكل الزمان.

***

الإيجاز

هو تأدية المعنى بألفاظ قليلة، فربّ قليل يغني عن الكثير.

وليس هذا بالأمر اليسير، فلا يرتقي إليه إلا ذوو الفصاحة والبيان والنهى.

قال أحد النقاد:

«أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه».

ومن فوائد الإيجاز حسن التخيّر ودقة التفكير، وتقريب الفهم وتسهيل الحفظ.

وتجد الجيِّد منه في آي الذِّكر الحكيم وحديث الرسول الكريم، وخطب البلغاء وأقوال الحكماء، وفي أمثالهم السائرة.

قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ومن أقوال البلغاء:

«المرءُ بأصغريه؛ قلبه ولسانه».

«أنجزَ حرٌّ ما وَعَد».

«سلامةُ الإنسان في حفظ اللسان».

***

الإطناب

الإطناب ـ لغة ـ مصدر الفعل الماضي أطنب، ومعناه أطال.

يقال: أطنب في الكلام أو الوصف، بالغ وأكثر فيه.

وأما اصطلاحاً فهو زيادة لفظ أو أكثر على المعنى لفائدة.

وهو عكس الإيجاز.

وإذا لم تحقق الزيادة فائدة للمعنى، فهي تطويل، لا فائدة منه.

ومن فوائد الإطناب تثبيت المعاني في الذهن، وإكسابها رونقاً وجمالاً. كالوردة لا يبدو للناظرين حُسنها إلا بعد أن يتفتق كمُّها.

قال تعالى على جهة التفصيل:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقال شاعر:

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ مجداً فشأناك انخفاضٌ وارتفاع

كذاك الشمس تبعد أن تُسامى ويدنو الضوءُ منها والشّعاع

والجاحظ، كثيراً ما لجأ إلى الإسهاب، في رسائله المشهورة وفي فواتح كتبه:

وتجد مثل ذلك، في مستهل كتابه «البيان والتبيين»:

«اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل. ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العُجب بما نحسن. وقديماً تعوذوا بالله من شرهما وطلبوا السلامةَ منهما».

* * *

المساواة

أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني. لا يزيد بعضها على بعض.

بمعنى أن تكون الألفاظ قوالب المعاني، وأن تكون المعاني واضحة مفهومة بالألفاظ المساوية لها. ليس فيها خلل بنقص، ولا إطالة وحشو. ومنه:

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

وقال طرفة بن العبد شاعر المعلقات:

ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مَن لم تُزوِّد

وتجد في الآيتين الكريمتين السابقتين، وبيت الشعر، أن كل جملة أفادت معنى معيناً، ليس فيها جملتان تتحدثان عن معنى واحد.

بحيث تستطيع أن تحذف إحداهما، ويظل المعنى واضحاً، مفهوماً.

فالألفاظ هنا، مساوية للمعاني، لا تزيد عليها، ولا تقل عنها.

وهذه المساواة.

* * *

الباب الثالث

المثـــل

- المقصود بالمثل .
- المثل في القرآن الكريم والحديث الشريف .
- في أمثال العرب .
- الأمثال في الشعر المنظوم .
- الأمثال الأجنبية .
- قصة مثل .

المثـــل

المثل قول موجز في لفظه، يحكي فكرة ما، وتكمن بلاغته في كونه مقتضباً، سهل العبارة، لطيف المرمى.

قال أبو حيان:

«بلاغة المثل أن يكون اللفظ مقتضباً والصورة محفوظة والمرمى لطيفاً والإشارة مغنية والعبارة سائرة».

وتجد الأمثال عند العرب، كما تجدها لدى غيرهم من الشعوب على اختلافها، وكما تجد المثل العربي، فإنك تجد المثل الفرنسي والإسباني والإيطالي والبريطاني..

ومما زاد في علو منزلة المثل وطلبه والبحث عنه ودراسته، وتأليف المصنفات فيه، وورود طائفة منه في القرآن الكريم، وسنتحدث عن ذلك ونسوق الأمثلة فيما بعد.

وتناولت الأمثلة وشرحها وأصولها عدة كتب منها على سبيل المثال:

«مجمع الأمثال» للميداني، ولعله أشهرها[1].

«الدرة الفاخرة» للأصبهاني.

و«أمثال الضّبي» وقد نال شهرة واسعة.

وقد ورد المثل في الشعر كثيراً، ويتضمن البيت الشعري ـ في الغالب ـ مثلاً واحداً أو أكثر:

---

(١) فقد جمع كتابه: «مجمع الأمثال» من نحو خمسين كتاباً، وكان يستدعي فيه المأثور من القديم، والمشهور والحديث ورتبه على حروف المعجم. «تاريخ الأدب العربي» أحمد حسن الزيات.

قال أبو الطيب المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدّنى سرجُ سابحٍ ... وخيرُ جليسٍ في الزّمانِ كتاب

ففيه مثلان:

١ ـ أعز مكان سرج سابح.

٢ ـ خير جليس في الزمان كتاب.

وكما جاء المثل في القرآن الكريم، جاء في الحديث الشريف، وفي شعر الشعراء وكلام الحكماء والعقلاء والبلغاء.

* * *

المثل في القرآن الكريم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٧].

﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الروم: ٥٨].

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الكهف: ٤٥].

***

ومن الأمثال من الحديث الشريف

«إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئ ما نوى». متفق عليه.

«استعينوا على الحوائج بالكتمان» البيهقي: «شعب الإيمان».

«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ» البخاري.

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» أخرجه الترمذي في «السنن».

«إذا لم تستح فاصنع ما شئت» البخاري.

«أنزلوا الناس منازلهم». «السنن» أبو داود.

«اليد العليا خير من اليد السفلى». رواه مسلم.

«إذا دعيتم فأجيبوا» البخاري.

«الغنى غنى النفس» مسلم.

«عليكم بالشفاءين العسل والقرآن» ابن ماجه.

«الحياء شعبة من الإيمان». متفق عليه.

«الظلم ظلمات يوم القيامة». البخاري ومسلم.

«دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك» أحمد «المسند».

«اعقلها وتوكّل» الترمذي.

«الأعمال بخواتمها» المتقي الهندي «كنز العمال».

«كثرة الضحك تميت القلب» الترمذي.

«كل معروف صدقة» البخاري.

«ما تواضع أحد لله إلا رفعه» مسلم.

«ارحموا تُرحموا» أحمد.

«قل الحق وإن كان مرّاً» الترمذي.

* * *

في أمثال العرب[1]

باب الهمزة

آخ الأكفاء وداهن الأعداء.

آفة العلم النسيان.

أحرس ـ في الحراسة ـ من كلب.

آمن من حمام مكة.

أبصر من زرقاء اليمامة.

اتّق شرّ من أحسنت إليه.

أجهل من فراشة.

أخف حلماً من عصفور.

إذا حككت قرحة أدميتها.

أزهى من طاووس.

باب الباء

بحمد الله لا بحمدك.

برق لو كان له مطر.

بعت جاري ولم أبع داري.

---

(١) «مجمع الأمثال»: الميداني. تحقيق محمد أبو الفضل.

بعض البقاع أيمن من بعض.

بلغ السيل الزبى.

بينهم داء الضرائر.

بكل عشب أثار رعي.

بعض الشر أهون من بعض.

بأبي وجوه اليتامى.

بلغ السكين العظم.

باب التاء

تباعدت العمة من الخالة.

تجوع الحرة ولا تأكل بثديها.

تحسبه جاداً وهو مازح.

ترى الفتيان كالنحل، وما يدريك ما الدخل.

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

تشكو إلى غير مصمت.

تخبر عن مجهوله مرآته.

ترك الظبي ظله.

ترى من لا حريم له يهون.

تشتهي وتشتكي.

باب الثاء

ثار ثائره.

ثار حابلهم على نابلهم.

ثاقب الزند.

ثبت الغدر.

ثكلتك أمك أي جرد ترقع.

ثمرة الجبن لا ربح ولا خسر.

ثمرة العجب المقت.

ثنى على الأمر رجلاً.

ثبت لبده.

ثور كلاب في الرهان أقعد.

باب الجيم

جاء ترعد فرائصه.

جاء يجر رجليه.

جاءوا على بكرة أبيهم.

جاورينا وأخبرينا.

جزاء سنمار.

جزيته كيل الصاع بالصاع.

جعجعة ولا أرى طحناً.

جعلته نصب عيني.

جعل كلامي دبر أذنيه.

جوع كلبك يتبعك.

باب الحاء

حافظ على الصديق ولو في الحريق.

حال الأجل دون الأمل.

حبك للشيء يعمي ويصم.

حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق.

حسن الظن ورطة.

حبسك الفقر في دار ضر.

حتى يرجع الدر في الضرع.

حتام تكرع ولا تنفع.

حدث عن معن ولا حرج.

حساً ولا أنيس.

باب الخاء

خذ الأمر بقوابله.

خذ من جذع ما أعطاك.

خذ من الرضفة ما عليها.

خذ من فلان العفو.

خذي ولا تناثري.

خلع الدرع بيد الزوج.

خلا لك الجو فبيضي واصفري.

خير مالك ما نفعك.

خير الخلال حفظ اللسان.

خير سلاح المرء ما وقاه.

باب الدال

دع امرأ وما اختار.

دع الشر يعبر.

دع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. وعليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك.

ديكة بلقط الحب.

دمث لنفسك قبل النوم مضطجعاً.

دمعة من عوراء غنيمة باردة.

دل عليه أربه.

دعني رأساً برأس.

دع القطا ينم.

دع العوراء تتخطاك.

باب الذال

ذاك أحد الأحدين.

ذكرتني الطعن وكنت ناسياً.

ذهب أمس بما فيه.

ذهب دمه درج الرياح.

ذهب ما له شعاع.

ذهب منه الأطيبان (النكاح والطعام).

ذهبت في وادي تيه بعد تيه.

ذهبوا تحت كل كوكب.

ذكر ولا حساس (للذي يعد ولا يحسن إنجازه).

ذليل عاد بقرملة (شجيرة ضعيفة لا ورق لها).

باب الراء

رآه الصادر والوارد.

رب أخ لك لم تلده أمك.

رب أمنية جلبت منية.

رب بعيد لا يفقد بره وقريب لا يؤمن شره.

رب رأس حصيد لسان.

رب زارع لنفسه حاصد سواه.

رب ساعٍ لقاعد.

رب طرف أفصح من لسان.

رب عين أنم من لسان.

رب ملوم لا ذنب له.

باب الزاي

زر غباً تزدد حباً.

زعمت أن العير لا يقاتل.

زقة زق الحمام فرخها.

زلت به نعله.

زلة الرأي تنسي زلة القدم.

زين في عين والد ولد.

زلة العالم يضرب بها الطبل، وزلة الجاهل يخفيها الجهل.

زلنا وزال الدهر في براد.

زندان في وعاء.

زند متين.

باب السين

سائل الله لا يخيب.

سبح ليسْرق.

سبّك من بلغك السّبا.

سبق السيف العذل.

سبق مطره سيله.

سمن كلبك يأكلك.

سوف ترى وينجلي الغبار.

سيل به ولا يدري.

سحابة صيف عما قليل تنقشع.

سرّك مَن ذمّك.

باب الشين

شبعان في يده كِسرة.

شر إخوانك من لا تعاقب.

شر أيام الديك يوم تُغسل رجلاه.

شرق بالريق.

شفيت نفسي وجدعت أنفي.

شق فلان عصا المسلمين.

شم خمارَها الكلب.

شاور في أمرك الذين يخشون الله.

شدة الحذر متهمة.

شر دواء الإبل التذبيح.

باب الصاد

صاحت عصافير بطنه.

صارت الفتيان حمماً.

صدرك أوسع لسرك.

صررنا حب ليلى فانتثر.

صري واحلبي.

صفرت يداه من كل خير.

صار الأمر عليه لزام.

صار جليس بيته.

صبراً وإن كان قتراً.

صبراً على مجامر الكرام.

باب الضاد

ضاقت عليه الأرض برحبها.

ضرب أخماساً لأسداس.

ضربه ضرب غرائب الإبل.

ضعيف العصا.

ضل بن ضل.

ضائف الليث قتيل المحل.

ضباب أرض حرشها الأراقم.

ضج فزده وقرا.

ضرب وجه الأمر وعينه.

ضربة بيضاء في ظرف سوء.

باب الطاء

طارت به العنقاء.

طارت عصافير رأسه.

طاعة النساء ندامة.

طال طوله.

طعن اللسان كوخز السنان.

طمس الله تعالى كوكبه.

طول التنائي مسلاة للتصافي.

طار طائر فلان.

طرف الفتى يغني عن لسانه.

طريق يحن فيه العود.

باب الظاء

ظاهر العتاب خير من باطن الحقد.

ظن الرجل قطعة من عقله.

ظن العاقل خير من يقين الجاهل.

ظنوا بي الظنانات.

ظلت على فراشها تكري (تنام).

ظمأ قامح خير من ري فاضح[1].

الظلم مرتعه وخيم[2].

الظلم ظلمات يوم القيامة[3].

الظباء على البقر[4].

الظفر بالضعيف هزيمة.

---

(١) القامح من الإبل: ما اشتد عطشه. ويقال: القامح الذي يرد الحوض ولا يشرب. وهذا المثل (ظمأ قامح...) يضرب في القناعة وكتمان الفاقة.

(٢) أي عاقبته وخيمة. قاله حنين بن خشرم السعدي.

(٣) هذا يروى عن النبي ﷺ.

(٤) يضرب عند انقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة.

باب العين

عاد الأمر إلى نصابه.

عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان.

عدو الرجل حمقه وصديقه عقله.

عذرتني كل ذات أب.

عرف النخل أهله.

عرض للكريم ولا تباحث.

عصا الجبان أطول.

عصبه عصب السلمة.

على أهلها تجني براقش.

باب الغين

غاية الزهد قصر الأمل وحسن العمل.

غاب شهرين ثم جاء بكلبين.

غيض من فيض.

غيبه غيابه.

غنى حتى غرف البحر بدلوين.

غل يدي مطلقها واسترق رقبة معتقها.

غثك خير من سمين غيرك.

غنيمة بالظفر ليس تقطع.

غمام أرض جاد آخرين.

غمرات ثم ينجلين.

باب الفاء

فارقه فراقاً كصدع الزجاجة.

فاها لفيك.

فعلت ذاك عمد عين.

في الله عوض عن كل فائت.

في بيته يؤتى الحكم.

في الجريرة تشترك العشيرة.

في الخير له قدم.

في رأسه خطة.

في الصيف ضيعت اللبن.

في النصح لسع العقارب.

باب القاف

قبل البكاء كان وجهك عابساً.

قبل الرماء تُملأ الكنائن.

قبلك ما جاء الخبر.

قد أخطأ نواه.

قد أسمعت لو ناديت حياً.

قد تؤذيني النار فكيف أصْلي بها.

قد حمي الوطيس.

قد شمَّرت عن ساقها فشمِّري.

قطعت جهيزة قول كل خطيب.

قول الحق لم يدعْ لي صديقاً.

باب الكاف

كاد النعام يطير.

كأن على رؤوسهم الطير.

كثرة العتاب تورث البغضاء.

كالجراد لا يبقي ولا يذر.

كل إناء يرشح بما فيه.

كل فتاة بأبيها معجبة.

كل كلب ببابه نباح.

كمجير أم عامر.

كالمستغيث من الرمضاء بالنار.

كيف أعاودك وها أثر فأسك.

باب اللام

لكل مقام مقال.

لأمر ما يسود من يسود.

لئن التقى روعي وروعك لتندمن.

لأن يشبع واحد خير من أن يجوع اثنان.

لا أصل له ولا فصل.

لا تأمن الأحمق وبيده سيف.

لا تجن من الشوك العنب.

لا تزال تقرصني منك قارصة.

لا تعلم اليتيم البكاء.

لا تقض البحر إلا سابحاً.

باب الميم

ما أحلى في هذا الأمر ولا أمّر.

ما أرخص الجمل لولا الهرة.

ما أشبه الليلة بالبارحة.

ما حك ظهري مثل يدي.

ما في الدار صافر.

ما لي في هذا الأمر يد ولا إصبع.

ما يوم حليمة بسر.

معاتبة الإخوان خير من فقدهم.

من مأمنه يؤتى الحذر.

من الحبة تنشأ الشجرة.

باب النون

ناجزاً بناجز.

نار الحرب أسعر.

ناصح أخاك الخبر.

نام بعين الآمن المشبع.

نام عصام ساعة الرحيل.

نزت به البطنة.

نشب في حبل غي.

نظر المريض إلى وجوه العود.

نعم كلب في بؤس أهله.

نعوذ بالله من القل بعد الكثر.

باب الهاء

هذه يدي لك.

هذه بتلك والبادي أظلم.

هل يخفى على الناس القمر.

هو ينسى ما يقول.

هبلته أمه.

هذا أوان شدكم فشدوا.

هذه خير الشاتين جزّة.

هذه بتلك فهل جزيتك.

هل تنتج الناقة إلا لمن لقحت له.

هل ينهض البازي بغير جناح.

باب الواو

وافق شن طبقه.

ويعد بلاء المرء فاذمم أو احْمد[1].

وعند جهينة الخبر اليقين.

وهل يخفى القمر[2].

باب الياء

يا إبلي عودي إلى مبركك.

يا طبيب طبّ نفسك.

يأتيك بالأخبار من لم تزود.

يخبط خبط عشواء.

يصبح ظمآن وفي البحر فمه.

يعيش المرء بأصغريه.

يمشي رويداً ويكون أولاً.

يوم لنا ويوم علينا.

يحث وهو الآخر.

يأتيك كل غد بما فيه.

* * *

---

(١) أي لا تحكم إلا بعد الاختبار.

(٢) يضرب للأمر المشهور.

الأمثال في الشعر المنظوم

وكما يأتي المثل في نثر الكلام يأتي أيضاً في شعره، ومن ذلك:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل ... وكلّ نعيم لا محالة زائل

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتد

أسأت إذ أحسنت ظني بكم ... والحزمُ سوء الظن بالناس

أقلّب طرفي لا أرى غير صاحب ... يميل مع النعماء حيث تميل

بنا فوق ما نشكو فصبراً لعلنا ... نرى فرجاً يشفي السقام قريباً

تلوم على القطيعة من أتاها ... وأنت سننتها للناس قبلي

جنّ له الدهر فنال الغنى ... آه لمن أغفله الدهر

حيّاك من لم تكن ترجو تحيته ... لولا الدراهم ما حيّاك إنسان

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب

ربّ يوم بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه

ستذكرني إذا جربت غيري ... وتعلم أنني نعم الصديق

فما أكثر الأصحاب حين تعدهم ... ولكنّهم في النائبات قليل

فإن كانت الأجسام منا تباعدت ... فإنّ المدى بين القلوب قريب

قد يجمع المال غير آكله ... ويأكل المال غير من جمعه

لعمري ما ضاقت بلادٌ بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

هم يحسدوني على موتي فوا حزني ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد

ولم أر كالمعروف، أما مذاقه ... فحلو وأما وجهه فجميل

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادةُ لي بأني كامل

ولربّ نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

يفارقني من لا أطيق فراقه ... ويصحبني في الناس من لا أريده

يريك البشاشة عند اللقا ... ويبريك في السرّ بري القلم

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

***

الأمثال الأجنبية

وكما نوهنا سابقاً، توجد أمثال غير عربية، ومنها على سبيل المثال:

الأمثال زينة الكلام. **مثل إنكليزي**

الأمثال حكم الأجيال. **مثل إنكليزي**

أمثال الأمة كتاب ضخم فيه تقرأ أخلاقها بسهولة. **مثل سويسري**

الشهرة حياة الرجل الثانية. **مثل صيني**

مجد الحكماء يعترف به التاريخ متأخراً. **قول إسباني**

من ودّك لأمر أبغضك عند انقضائه. **مثل هندي**

الثناء كالملفوف، طيب الطعم ولكنه ينفخ. **مثل بولوني**

الإطراء يطري الأجواء. **مثل نيوزيلندي**

لا يؤسس البيت على الأرض، بل على المرأة. **مثل ألماني**

لا تعرف المرأة قيمة سعادتها مع زوجها إلا عندما تفارقه. **مثل تايلندي**

المرأة كالظل إذا تبعتها هربت منك وإذا هربت منها تتبعك. **مثل فرنسي**

من أطاع الواشي ضيّع الصديق. **مثل فرنسي**

ليس للملوك صديق. **مثل تركي**

يعرف المرء بأقرانه.	مثل إنكليزي
العالم آلة تصوير. ابتسم من فضلك.	مثل أمريكي
إذا كنت لا تستطيع الابتسام فلا تفتح دكاناً.	مثل صيني
يلتصق أريج الزهرة باليد التي تقدمها.	مثل صيني
لا رأي لمن لا إرادة له.	مثل إسباني
من فقد أمه فقد أبويه.	مثل نيجيري
الأم لا تقول هل تريد، بل تعطي.	مثل إنكليزي
لا بد أن يشرق الضوء في آخر النفق.	مثل فنلندي
من يسقط في النهر يتمسك بالأفعى.	مثل تركي
أن تكون إنساناً أمر سهل أما أن تكون رجلاً فهذا صعب.	مثل روسي
بناء البغض مشيّد بحجارة الإهانات.	مثل إسباني
خير لك أن تصل متأخراً من أن لا تصل أبداً.	مثل أمريكي
لا تشتر بأذنيك بل بعينيك.	مثل كوري
إذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر.	مثل مجري

* * *

قصة مثل[1]

وكثيراً ما تجد لمثل ما قصة، توضح سبب قوله، فما قصة المثل:

« كمجير أمّ عامر »

كان من حديثه أن قوماً خرجوا إلى الصّيد في يوم حار، فإنهم لكذلك إذ عرضتْ لهم أمُّ عامر، وهي الضَّبُع، فطردوها، وأتبعتهم حتى ألجئوها إلى خِباء أعرابي، فاقتحمته، فخرج إليهم الأعرابي، وقال:

ما شأنكم؟ قالوا: صيدُنا وطريدتُنا، فقال:

كلا والذي نفسي بيده، لا تصلون إليها ما ثبتَ قائمُ سيفي بيدي، قال: فرجعوا وتركوه، وقام إلى لِقحة فحلبها وماء فقرب منها، فأقبلت تلغ مرة في هذا ومرة في هذا حتى عاشت واستراحت، فبينا الأعرابي نائم في جوف بيته، إذ وثبت عليه فبقرت بطنه، وشربت دمه وتركته، فجاء ابن عم له يطلبه فإذا هو بقير في بيته، فالتفت إلى موضع الضّبع فلم يرها، فقال: صاحبتي والله! فأخذ قوسه وكنانته وأتبعها، فلم يزل حتى أدركها فقتلها، وأنشأ يقول:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله	يلاقِ الذي لاقى مجير أمّ عامر
أدام لها حين استجارتْ بقربه	لها محض ألبان اللّقاح الدَّرائر
وأسمنها حتى إذا ما تكاملت	فرَتْه بأنياب لها وأظافر

---

(١) مجمع الأمثال: الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل: (٣٠٤١).

بدا يصنع المعروف في غـــير شـــاكر فقل لذوي المعروف هذا جـــزاء مـــن

***

الباب الرابع

روائع الحكمة

- مفهوم الحكمة.
- الحكمة في القرآن الكريم،

وفي الحديث الشريف.

- الحكمة في الشعر العربي.

روائع الحكمة

قال الله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

قال رسولنا محمد ﷺ:

«الحكمة ضالة المؤمن...».

وقال عليه الصلاة والسلام:

«إن من الشِّعر لحكماً»، وروي: «إن من الشِّعر لحكمة».

إن الحِكم والأمثال، هي أقوال موجزة، معدودة الكلمات ذات معان جميلة، غطت صفحة الأدب العربي ـ شعره ونثره ـ، كذلك تجد الأدب العالمي أيضاً، اشتمل على الحكم والأمثال.

وفيما يخص حكمنا وأمثالنا، فالذي زاد في علو هذه الأقوال منزلة، وورود طائفة كبيرة منها في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف.

والحكمة أو المثل، خلاصة تجارب وقصص وحكايات ومواقف عاشها الإنسان، وأوجز الكلام في كل منها بقول موجز، سهل العبارة، جيد المعنى. وهذا سر بقائها ونفعها. فقامت الدراسات والبحوث حولها كما أعدت عدة مصنفات تتحدث عنها شارحة لها مبينة أصولها وأسبابها وجودتها، ومنها:

«مجمع الأمثال» للميداني، و«أمثال الضبي» على سبيل المثال لا الحصر.

ولم يقتصر المثل والحكمة والقول على العرب ولغتهم العربية، بل اهتمّت بذلك معظم شعوب الأرض ولغاتها على مرّ العصور.

وهكذا، فالأمثال والحكم والأقوال المأثورة، حكايات وقصص وتجارب، تروي قصص الشعوب بألفاظ معدودة ومعانٍ جميلة وبديعة.

والملاحظ أن هذه الأمثال والحكم والأقوال الخالدة، تنتقل من جيل لآخر.

ومن الحكم ما يصلح للتطبيق في مختلف العصور، فتكون عميقة، خالدة. ومنها ما يصلح إلا لزمان من الأزمنة، فتكون سطحية قليلة الأثر.

وقد عنيت معظم الشعوب بجمع أمثالها، وتدوين حكمها، لأهميتها للإنسان والإنسانية.

ولعل قصب السبق في هذا المضمار يعود إلى قُدامى المصريين الذين سبقوا سواهم من الشعوب في جمع وتدوين هذه الأقوال.

ومن شروط الحكمة أن تكون بالغة، وهذا ما يوضح قول الرسول محمد ﷺ:

«إن من الشِّعر لحكماً» وروي: «إن من الشعر لحكمة».

«والحكمة قول رائع موافق للحق، سالم من الحشو. وهي ثمرة الحنكة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة، كقولهم:

الخطأ زاد العجول.

من سلك الجدد أمِن العثار.

عيّ صامت خير من عيّ ناطق»[1].

* * *

---

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات.

ورود الحكمة في القرآن الكريم والحديث الشريف

في القرآن الكريم:

قال الله تعالى:

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف: ٥١].

﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف: ٩٥].

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨].

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧].

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤].

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر: ١٤].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨].

ومما جاء من ذلك في الحديث الشريف:

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

«إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

«اليد العليا خير من اليد السفلى».

«نية المرء خير من عمله».

«أنزلوا الناس منازلهم».

«من مات غريباً مات شهيداً».

«يد الله مع الجماعة».

«الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق».

«من غشنا ليس منا».

«سيد القوم خادمهم».

«الحياء شعبة من الإيمان».

«المجالس بالأمانات».

«الوحدة خير من جليس السوء».

«استعينوا على الحوائج بالكتمان».

«لا يكون المؤمن طعّاناً ولا لعّاناً».

«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

«الأعمال بخواتمها».

* * *

الحكمة في الشعر العربي

كثيراً ما ترى الحكمة في معظم شعر الشعراء، إلا أن بعض الشعراء تراهم وقد أخذت الحكمة جانباً كبيراً من أشعارهم، حتى لقب كل واحد منهم بشاعر الحكمة، مثل:

المتنبي، شاعر الحكمة.

زهير، شاعر الحوليات والحكم.

ومن الشعر الحكمي ما يلي:

يفـــارقني مـــن لا أطيـــق فراقـــه ... ويصحبني في النّـــاس مـــن لا أريـــده

ولـــربّ نازلـــة يضـــيق بهـــا الفـــتى ... ذرعـــاً وعنـــد الله منـــها المخـــرج

لعمري مـــا ضـــاقت بـــلاد بأهلـــها ... ولكـــن أخـــلاق الرّجـــال تضـــيق

قد يـــدرك المتـــأني بعـــض حاجتـــه ... وقد يكون مـــع المســـتعجل الزلـــل

فلـــم أر كالأيّـــام واعظـــاً ... ولا كصروف الدّهر للمـــرء هاديـــاً

على المرء أن يسعى لمـــا فيـــه نفعـــه ... ولـــيس عليـــه أن يســـاعده الـــدّهر

ضاقت فلمّا اشتدت حلقاتها فرجـــت ... وكنـــت أظنّهـــا لـــن تفـــرج

ســـتذكرني إذا جربّـــت غـــيري ... وتعلـــم أنّـــني نعـــم الصّـــديق

ســـروري أن تبقـــى بخـــير ونعمـــة ... وإنّـــي مـــن الـــدنيا بـــذلك قـــانع

ربّ يـــوم بكيـــت منـــه فلمّـــا ... صـــرت في غـــيره بكيـــت عليـــه

خيالك في عيني وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب

حيّاك من لم تكن ترجو تحيّته ... لولا الدّراهم ما حيّاك إنسان

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل ... وكلّ نعيم لا محالة زائل

إذا كنت قضيت الدَّيْنَ بالدَّيْنِ لم يكن ... قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

أعزُّ مكان في الدُّنا سرج سابح ... وخير جليس في الزّمان كتاب

ومن نكد الدّنيا على المرء أن يرى ... عدوًّا له ما من صداقته بدُّ

ووضع النّدى في موضع السّيف في العلى ... مُضرّ كوضع السّيف في موضع النّدى

ومن ينفق السّاعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالّذي فعل الفقر

وما الحسن في وجه الفتى شرف له ... إذا لم يكن في فعله والخلائق

يهون علينا أن تصاب جسومنا ... وتسلم أعراض لنا وعقول

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الحرب وحده والنّزالا

تريدين لقيان المعالي رخيصة ... ولا بدّ دون الشّهد من إبر النّحل

ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضرّ ويؤلم

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السّقيم

وإذا كانت النّفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النّجوم

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن

وما المال والأهلون إلاّ ودائع ... ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائع

أيضحك مأسور، وتبكي طليقة ... ويسكت محزون، ويندب سال؟

لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وإن خالها تخفى على النّاس تعلم

ومَن لا يُصانع في أمور كثيرة ... يُضرّس بأنياب ويُوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يُستغن عنه ويُذمم

أحبّ مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا

واصفح عن سباب النّاس حلماً ... وشرّ النّاس من يهوى السّبابا

ومن هاب الرّجال تهيّبوه ... ومن حقّر الرّجال فلن يهابا

إذا صحّ منك الودّ فالكل هيّن ... وكلّ الّذي فوق التّراب تراب

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأيُّ النّاس تصفو مشاربه

كفى قلمَ الكتّاب مجداً ورفعةً ... مدى الدّهر أنّ الله أقسم بالقلم

وكم يمضِ الفراق بلا لقاء ... ولكن لا لقاء بلا فراق

ليس الجمال بأثواب تزيّننا ... إنّ الجمال جمال العلم والأدب

***

الباب الخامس

«أقوال طبقت شهرتها الآفاق»

- حاتم الطائي وابنته سفانة.
- قس بن ساعدة.
- وصية أعرابية لابنتها.
- وصية أعرابية لابنها.
- امرؤ القيس.
- الخنساء.
- حسّان بن ثابت.
- جرير.
- الحجاج بن يوسف.
- زياد بن أبيه.
- عبد الحميد الكاتب.
- أمين الريحاني.
- علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ.
- عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.
- عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

أقوال طبقت شهرتها الآفاق

حاتم الطائي

كان حاتم على خلق، طويل الصمت، رقيق القلب، جم المروءة، وضرب به المثل، فقيل: «أكرم من حاتم».

وقد وصفته سفانة ابنته يوم قامت بين يدي رسول الله ﷺ ترجو أن يخلي عنها وهي سبية، فقالت:

«كان أبي يفك العاني، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط».

فقال لها الرسول ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلاميًّا لترحمنا عليه. خلوا سبيلها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق».

قس بن ساعدة الإيادي

هو أسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها وحكمها.

قال من خطبته في سوق عكاظ:

«أيها الناس! اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة. إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا؟

يا معشر إياد! أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالاً

وأطول آجالاً؟ طحنهم الدهر بكلكله، ومزقهم بتطاوله».

وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها[1]

أي بنية! إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك. ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتها إليها، لكنت أغنى الناس.

أي بنية! إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه؛ فاحملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً:

اصحبيه بالقناعة، وعاشريه بحسن السمع والطاعة، وتعهدي موقع عينيه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح. ثم اعرفي وقت طعامه، واهدئي عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة. ثم اتقي مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. وكوني أشد الناس له إعظاماً؛ يكن أشدهم لك إكراماً.

واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهت.

والله يخير لك.

وصية أعرابية لولدها

وأوصت أعرابية ولدها فقالت:

أي بني! إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتفرق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً. وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته حتى يهن ما اشتد من قوته.

---

(١) تاريخ الأدب العربي: الزيات

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريماً يلين لهزتك، ولا تهزز لئيماً فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه. ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه فعله، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها. والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم. ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها[1]».

امرؤ القيس

هو أمير الشعراء في العصر الجاهلي، وأحد شعراء المعلقات والملقب بذي القروح.

جاء نبأ مقتل والده، فلم يخرج للثأر له من توّه، وقال:

«ضيَّعني أبي صغيراً، وحمّلني دمه كبيراً، لا صحوَ اليوم، ولا سُكر غداً، اليوم خمر وغداً أمر».

الخنساء

هي السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السُّلمية. والخنساء لقَب غلبَ عليها. كان أبوها وأخواها معاوية وصخر من سادات سليم. وكانت بارعة الجمال والأدب. ولما توفي أخويها جزعت عليهما أشد الجزع ورثتهما بأبلغ الرثاء، ولا سيما صخر لكثرة إحسانه وشدة حنانه وقوة جنانه، ومن ذلك قولها:

أعـــيني جـــودا ولا تجمـــــدا ... ألا تبكيـــان لصــــخر النـــدى

ألا تبكيـــان الجـــريء الجميــــل ... ألا تبكيـــان الفــــتى الســـيدا

وفدت في قومها على الرسول ﷺ، فأسلمت وأنشدته فاهتز لشعرها واستزادها بقوله:

هيه يا خناس!

إلا أن وجدها على صخر كان وراء الصبر وفوق العزاء. فلم تزل تبكيه وترثيه حتى

(١) كل ثوب رقيق يشبه الملحفة. والسربال: القميص.

ابيضت عيناها من الحزن.

... فقبلت مصرع بنيها الأربعة، صابرة محتسبة.

وقد حرضتهم على القتال في حرب القادسية، فاستشهدوا جميعاً فلم تزد على أن قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»[1].

حسّان بن ثابت

شاعر الرسول ﷺ

لما هاجر رسول الله إلى المدينة أسلم حسّان مع الأنصار، وانقطع إلى مدحه والنصح له.

ذلك أن الرسول ﷺ حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟

فقال حسّان:

أنا لها. وضرب بلسانه الطويل أرنبة أنفه. وقال:

والله ما يسرني به مِقْوَلٌ ما بين بُصرى وصنعاء! والله لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه!

فقال له النبي ﷺ:

كيف تهجوهم وأنا منهم؟

فقال له:

«أسلك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين».

فقال: اهجهم ومعك روح القدس.

فهجاهم فآلمهم وأبكمهم ووقعت كلماته منهم موقع السِّهام في غسق الظلام، فاشتهر

---

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات.

بذلك ذكره، وارتفع قدره، وعاش ما عاش موفور الكرامة، مكفيّ الحاجة من بيت المال، حتى توفي سنة ٥٤ للهجرة[1].

جـريـر

«ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطياً».

هذا القول للخليفة عبد الملك بن مروان.

برئ جرير من خبث الأخطل وسكره، ومن جفاء الفرزدق وفجره، وتجمل بصفاء الطبع، ورقة الشعور، ونقاء الجيب، وصحة الدين، وحسن الخلق، فظهر أثر ذلك كله في شعره.

فامتاز بطلاوة الأسلوب، وحلاوة الغزل، ومرارة الهجاء، وإجادة الرثاء، وحسن التصرف في جميع فنون الشعر. فكان بذلك أظهر في سماء الشعر، وأقرب إلى صفة الشاعر، وأكثر أشياعاً من الأخطل والفرزدق. فإن الأول لم يجد إلا في المدح والهجاء والخمر، والثاني لم ينبغ إلا في الفخر.

ومن جيّد شعره:

تعالوا نحاكمكم وفي الحق مقنع ... إلى الغر من أهل البطاح الأكارم

فإن قريش الحق لم تتبع الهوى ... ولم يرهبوا في الله لومة لائم

أذكركم بالله مَنْ يسهل القنا ... ويضرب كبش الجحفل المتراكم؟

وكنتم لنا الأتباع في كل موقف ... وريش الذُّنابى تابع للقوادم

إذا عدت الأيام أخزيت دارماً ... وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

وما زادني بعد المدى نقض مِرّةٍ ... ولا رقّ عظمي بالضروس العواجم

ومن أبياته التي تفرد بها قوله:

---

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات.

إنّ العيــون الــتي في طرفهــا حَــوَرٌ ... قتلننــا ثُــمّ لــم يُحيــين قتــلانــا
يصرعن ذا اللب حتى لا حــراك بــه ... وهــنّ أضــعف خلــق الله إنســانا

وقوله في الفخر:

إذا غضــبت عليــك بنــو تمــيم ... حســبت النــاس كلــهم غضــابا

وفي الهجاء:

فغضَّ الطرف إنَّــك مِــن نُمَيْــر ... فــلا كعبــاً بلغــت ولا كلابــا

وفي التهكم:

زعم الفــرزدق أن ســيقتل مِربَعــاً ... أبشــر بطــول ســلامة يــا مِربَــع

ومن جيّد فخره قوله:

إنّ الــذي حَــرَمَ المكــارم تغلبــاً ... جعــل الخلافــة والنّبــوّة فينــا
مضر أبي وأبو الملــوك، فهــل لكــم ... يا خــزر تغلــب مــن أب كأبينــا
هذا ابن عمّــي في دمشــق خليفــة ... لــو شــئت ســاقكم إليّ قطينــا

ويقال إن عبد الملك لما بلغته هذه الأبيات قال:

«ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطياً. أما أنه لو قال: لو شاء ساقكم إلي قطيناً لسقتهم إليه!»[1].

* * *

ومن هذه الأقوال:

«يا أهل الكوفة! إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها! وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى!

---

(١) تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات.

... والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل! فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون».

الحجاج بن يوسف الثقفي

* * *

«أما بعد فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغي الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم، من الأمور التي ينبتّ فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته».

زياد بن أبيه ـ من خطبته البتراء ـ

* * *

«أما بعد، فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، فمن ساعده الحظ فيها سكن إليها، ومن عضته بنابها، ذمها ساخطاً عليها».

عبد الحميد الكاتب

* * *

«كان لي أخ أعظم الناس في عيني. وكان رأس ما عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه».

عبد الله بن المقفع

* * *

تحدثت الركاب بسير أروى ... إلى بلد حططت به خيامي

فكدت أطير من شوق إليها ... بقادمة كقادمة الحمام

الصاحب بن عباد

«كلما زادت خبرتي بالحياة والناس، حاولت أن أجد شيئاً، يجعل لهذه الحياة معنى، ولم أجد هذا الشيء إلا بين صفحات الكتب».

حكيم

***

«خير الكتب كتاب؛ لا يتركني بعد مطالعته في الحال التي ألفتها، كتاب يحرك فيّ عاطفة شريفة أو فكراً سامياً، يزحزحني من مكاني أو يدفعني لأزحزح من هم حولي، كتاب يوقظني من سباتي العميق».

أمين الريحاني

***

«أحبُّ أخي إذا كان صديقي».

عبد الحميد الكاتب

***

«صديق الجاهل في تعب».

الإمام علي ـ كرّم الله وجهه ـ

***

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديقٌ صدوقٌ صادق الوعدِ منصفا

الإمام الشافعي رحمه الله

***

«أصدقاؤك ثلاثة:

صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوّك».

الإمام عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ

***

«لا حكم إلا لله».

الخوارج[1]

* * *

«عدو الرجل حمقه، وصديقه عقله، رب قول أشد من صول».

أكثم بن صيفي

* * *

وأحسنُ منك لم ترَ قطُّ عيني وأجملُ منكَ لم تلد النّساء
خُلقتَ مُبرأً من كلّ عيب كأنّك قد خُلقتَ كما تشاء

حسان بن ثابت

في مدح الرسول ﷺ

* * *

لا تنهَ عن خُلق وتأتيَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ

* * *

اصبر على كيد الحسود فإنّ صبرَك قاتله
فالنّار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

ابن المعتز

* * *

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم تنل المراد وتغدو أول من سعد

صفي الدين الحلي

---

(١) الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ بعد حادثة التحكيم، ومن زعمائهم، الشاعر قطري بن الفجاءة الذي عدّه النقاد من شعراء الواحدة.

«ليس لنا سعادة نحيا بها غير سعادة الحب، ففتشوا لنا عن سعادة غيرها، قبل أن تطلبوا منا أن نتركها».

مصطفى لطفي المنفلوطي

* * *

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التَّقيَّ هو السعيد

الحطيئة

* * *

«انثر الابتسامات يميناً وشمالاً على طول الطريق، فإنك لن تعود للسير فيه ثانية».

أحمد أمين

* * *

«ازرع الصدق والرصانة، تحصد الثقة والأمانة».

أمين الريحاني

* * *

«لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في جمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم».

الحسن البصري

* * *

هي الأخلاق تنبت كالنبات إذا سقيت بماء المكرمات

معروف الرصافي

* * *

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أحمد شوقي

***

«إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله: لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف».

زياد بن أبيه

***

«لا تكن يابساً فتكسر، ولا ليناً فتعصر».

جبران خليل جبران

***

«إياكم والبِطنة؛ فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد، مورثة للسقم».

عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

***

أوجب الواجبات إكرام أمي   إن أمي أحق بالإكرام

معروف الرصافي

***

«من طلب الحق قرب من الله، ومن طلب الباطل لم يصب».

جعفر الصادق

***

«بحربتي هذه قتلت خير الناس وشر الناس».

وحشي بن حرب

وكان قد قتل سيد الشهداء، حمزة بن عبد المطلب، وقتل شر الناس، مسيلمة الكذاب.

أضحى التنائي بـديلاً مـن تـدانينا ... وناب عـن طيـب لقيانـا تجافينـا
بنتم وبنـا فمـا ابتلـت جوانحنـا ... شـوقاً إلـيكم ولا جفـت مآقينـا

ابن زيدون

وقال:

يـا أخـا البـدر سـناء وسـنى ... رحـم الله زمانـاً أطلعـك
إن يطـل بعـدك ليلـي فلكـم ... بـتّ أشـكو قصـر الليـل معـك

* * *

«من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه؛ فليستحِ».

أبو عثمان المازني

* * *

«كثير المعرفة قليل الكلام، وكثير الكلام قليل المعرفة».

ميخائيل نعيمة

* * *

أوفى صـديق إن خلـوت كتـابي ... ألهـو بـه إن خـانني أصـحابي
لا مفشـياً سـراً إذا أودعتـه ... وأفـوز منـه بحكمـة وصـواب

الجاحظ

* * *

«القلم شجرة، ثمرتها الألفاظ».

عبد الحميد الكاتب

* * *

«قول الحق لم يدع لي صديقاً».

أبو ذر الغفاري

الباب السادس

مقتطفات من بستان ألفاظ لغتنا العربية الجميلة

- من فوائد اللغة العربية .
- مختارات من فقه اللغة للثعالبي .
- شوارد الأوزان والألفاظ .
- الموجز من الأمثال .
- فائدة لطيفة: (ما) الاسمية والحرفية .

وفي بستان الإيجاز في الألفاظ، نقطف ما لذّ وطاب من فوائد لغتنا العربية الجميلة، ومختارات من فقه اللغة للثعالبي، وشوارد الأوزان، والموجز من الأمثال.

— ١ —

الآية: أصلها ـ أيَيَة ـ ووزنها فعلة. أبدلت الياء الساكنة ألفاً فصارت ـ آية ـ والآية العلامة. والآية هي الدليل، ومنه:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

وجمع الآية من القرآن: آيات وآي مثل قولك:

راية ـ راي، ساحة ـ ساح. والساحة، باحة الدار.

لا أبا لك: كثيراً ما يستعمل هذا اللفظ في المدح، قال زهير:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً ـ لا أبا لك ـ يسأم

الأزر

والأزر: القوة، قال تعالى:

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١] وآزره: عاونه.

الإصر

الإصر (بالكسر): العهد، وهو أيضاً الذنب والثقل. يقال: هو أوفى من أن يخيس بالعهد أو ينقض الإصر. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الإمارة

الإمارة: بكسر الهمزة: الولاية. أما الأمارة بفتح الهمزة، فهي العلامة. وأمَّر فلان أمارة إذا نصب علماً، قال الشاعر:

إذا طلعت شمس النهار فإنّها أمارةُ تسليمي عليك نسلّمي

أيضاً

مصدر آض يئيض إذا رجع. معنى قولك: افعل ذلك أيضاً: افعله عوداً إلى ما تقدّم. ولا تستعمل أيضاً إلا في التوافق بين شيئين بينهما توافق، كقولك: زرته وحادثته أيضاً.

بتّة

يقال هذا اللفظ في الأمر الذي لا رجعة فيه. وهو مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره بَتَّ في الأمر بتاتاً. أي قطع. وقد تستعمل مع اللام، كقولك: البتّة.

البَرْد

البَرْد ضده الحر، كما البرودة ضدّها الحرارة.

والبرَد، بفتح الراء، حبُّ الغمام. قال الراهب المكي:

إذا وجدتُ أوارَ الحب في كبدي أقبلتُ نحو سِقاء القوم ابترِدُ
هبني بردْتُ ببرد الماء ظاهرَه فمن لنارٍ على الأحشاء تتقدُ

وقد أجاد أمير الشعراء، أحمد شوقي، بقوله:

وقد صفا بردَى للريح فابتردت لدى ستورٍ حواشيهن أفنانُ

بلْهَ

وبلْهَ بمعنى: دعْ. وهي مبنية على الفتح، وقيل: إنها بمعنى غير وسوى. تقول:

هذا ما أظهره لك بلْهَ ما أضمرَه. أي: دع ما أضمره لك فهو خير مما أظهره.

والبلَه: سلامة الصدر وضعف العقل، وهو أبلَهْ وهي بلهاء. وتبالَه: أظهر البلَهَ. قال عمر بن أبي ربيعة:

تبالهن بالعِرفان لما عرفنني وقلْنَ امرؤ باغٍ أكلَّ وأوضعا

حاصَ

حاصَ عنه حيصاً وحيُوصاً: مالَ وحادَ. يقال: ما عنه محيص ومهرب، وهو حائص بائص، ووقع في حيصَ بيصَ. وتكون: حيصَ بيصَ، مبنية على فتح الجزءين دائماً.

لا محالة

تستعمل بكثرة بمعنى الحقيقة واليقين والتأكيد، مثل القول: "وكل نعيم لا محالة زائل".

الدَيدَبـان

وهو العين الذي يرقب العدو.

قال الشاعر:

أقـــاموا الدَيـــدَبان علـــى يفـــاع   وقـــالوا لا تنـــم للدَيـــدَبان[1]

الرعونـة

الحمق، ورجل أرعن: فيه طول وحمق.

وامرأه رعناء، وقوم رُعْن.

لا مرحباً

لا مرحباً: دعاء عليه.

تقول لمن تدعو له: مرحباً، أي أتيت رحباً لا ضيقاً. ثم تدخل عليه لا لعكس المعنى.

قال النابغة الذبياني:

لا مرحبـــاً بغـــدٍ ولا أهـــلاً بـــه   إن كـــان تفريـــقُ الأحبـــة في غـــد

---

(١) اليفاع: ما ارتفع من الأرض. ويقال لها: النبكة.

الرِّفـد

العطاء والإعانة. وفلان نعم الرافد إذا حلّ به الوافد.

وهذا النهر له رافدان أي نهران يمدانه. ويقال، لدجلة والفرات رافدان لذلك. ويقال للعراق أرض الرافدين (دجلة والفرات).

الرَّيث

الإبطاء، تقول: انتظرني ريثما أكلم فلاناً، أي: بمقدار ما أكمله، قال الراعي:

فقلت ما أنا ممن لا يواصلني ... وما ثُوائي إلا ريثَ ارتحلُ

ومن الأمثال: (ربّ عجلةٍ تهب ريثاً).

السَّبْط

السبط (بفتح السين وكسرها): الشَّعر المسترسل غير الجعد. وسبط الجسم: إذا كان حسن القدّ والاستواء.

والسِّبط: ولد الولد.

ساغ

ساغ (من الطعام والشراب) إذا سهل مدخله في الفم.

قال الشاعر:

وساغ لي الطعام وكنت قبلاً ... أكاد أغص بالماء الفرات

الشجون

الشجون والأشجان: الهموم والحاجات.

وفي قولك: "الحديث ذو شجون"، معناه أنه ذو شعب.

الشَّظَف

هذا اللفظ مفتوح الشين والظاء، معناه: شدة العيش وضيقه. يُقال: هو في شظف العيش.

قال ابن ا لرّقاع:

ولقــد لقيــتُ مــن المعيشــة لــذةً ولقيتُ من شَظَف الأمــور شِــدادها

شفَّ

شفّ الثوب يشِفُّ شفيفاً: رق.

وثوب شِفّ: رقيق يستشف ما وراءه.

وفي المثل:

(ثوب الرِّياء شفّاف، لا ينخدع به إلا لابسه).

الغزالة

الشمس. جئتك مع الغزالة، أي مع طلوع الشمس.

الغسق

دخول أول الليل حين يختلط الظلام. من الغسق إلى الفلق.

ان هــذا الليــل قــد غَسَــقا واشــتكيت الهــمَّ والأرقــا

الفارع

الطويل. والفرعاء: طويلة الشعر. ويقال:

لا بدَّ للفرعاء من حسد القرعاء.

القسطاس

بضم القاف وكسرها: الميزان. قال تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨٢].

مَنَّ

مَنَّ عليه: أنعم عليه. والله المنّان على عباده، وله عليَّ مِنَّة، قال أبو فراس الحمداني:

يعنّون أن خلّوا ثيابي وإنّما　　علَيَّ ثيابٌ من دمائهم حمر

* * *

― ٢ ―

مختارات من فقه اللغة للثعالبي

كُليّات

كل أرض مستوية فهي صعيد.

كل بناءٍ عالٍ فهو صرح.

كل شيء من متاع الدنيا فهو عَرَض.

كل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشة.

كل نازلة شديدة بالإنسان فهي قارعة.

كل كريمة من النساء والخيل وغيرها فهي عقيلة.

كل ما له ناب من السّباع والطير فهو سبُع.

كل طائر له طوق فهو حمام.

كل طائر ليس من الجوارح يُصاد فهو بُغاث.

كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرَصَة.

كل ما ارتفع من الأرض فهو نجد.

كل شيء خفّ محمله فهو خفّ.

كل شيء جاوز قدره فهو فاحش.

كل شيء قليل رقيق من ماء وغيره فهو رَكيك.

كل كلمة قبيحة فهو عوراء.

كل شيء لان من عود أو حبل فهو لدْن.

صفـات

الجمّ: الكثير من كل شيء.

الصَّريح: الخالص من كل شيء.

الصّدَع: الشق في كل شيء.

الطلا: الصغير من ولد كل شيء.

الهالة للقمر كالدارة للشمس.

الضعف في الجسم كالضعف في العقل.

البصيرة في القلب كالبصر في العين.

صدر كلّ شيء وغرَّته أوله.

فاتحة الكتاب أوله.

تباشير الصبّح أوائله.

شرخُ الشباب وريْعانُه وعنفوانُه وميْعتُه، وورونقُه وريِّقُه: أوله.

المطـر

اذا أحيا الأرض بعد موتها فهو الحيا.

فإذا جاء بعد المحل فهو الغيث.

فإذا دام مع سكون فهو ديمة.

فإذا زاد فهو الهتان والتهتان.

فإذا كان المطر مستمراً فهو الوذْق.

فإذا كان ضخم القطر شديد الوقع فهو وابل.

فإذا كان عامّاً فهو الجدا.

فإذا جاء المطر بعد المطر فهو ولِي.

الجَمال

صباحة الوجه ـ حلاوة العين ـ جمال الأنف ـ ملاحة الفم ـ رشاقة القد ـ وضاءة البشرة.

الأمكنة

المحفل: مكان اجتماع الرجال.

النادي والندوة: مكان اجتماع الناس للحديث والسمر.

الحانوت: مكان البيع والشراء.

المَدْرس: مكان دَرس الكتب.

المربع: مكان الحي في الربيع.

المأتم: مكان اجتماع النساء.

المَرقب: مكان الدَيْدَبان.

الثغر: مكان المخافة.

الجماعات

نفر ـ رهط ـ شرذمة ـ قبيل ـ عُصبة ـ طائفة ـ ثلة ـ فوج ـ فرقة ـ حزب ـ زمرة ـ الشعب ـ القبيلة ـ الفصيلة ـ العشيرة ـ الذريَّة ـ العِترة ـ الأسرة.

العلم والرجاحة

طبيب نطاسي ـ صانع ماهر ـ شاعر مُفْلِق ـ كاتب بارع ـ قارئ حاذق ـ خطيب مِصْقع.

صفات

ثوب ليِّن ـ رمح لدْن ـ أرض دمِثة ـ لحم رَخْص ـ فِراش وَثير ـ بدن ناعم.

الأوار: شدة حر الشمس.

الغيهب: شدة سواد الليل.

الحسرة: شدة الندامة.

الصِّر: شدة البرد.

الجشع: شدة الحرص.

الوَصَب: شدة الوجع.

يوم عصيب ـ مطر وابل ـ بيت فسيح ـ لحم طري ـ داء عضال ـ برد قارس ـ أرض واسعة ـ عين نجلاء ـ شباب غض ـ ريح عاصف ـ ثوب جديد ـ شراب حديث ـ أسود حالك ـ أصفر فاقع ـ أحمر قانئ ـ أخضر ناضِر.

شجّ الرأس ـ قصم الظهر ـ هدّ الركن ـ هَشَم الأنف ـ هصَر الغصن ـ فضّ الختْم ـ دكّ الحائط ـ ثَرَدَ الخبز.

***

ـ٣ـ

شوارد الأوزان والألفاظ

تِفْعال:

لم يرد في كالم العرب صفة ولا اسم على وزن تِفعال بكسر التاء إلا بضعة عشر لفظاً منها:

رجل تِلقام (عظيم اللقم).

رجل تمساح (أي كذاب).

تِنبال (أي قصير).

تِلعاب: كثير اللعب.

وأما تَفعال: بفتح التاء، فورد على وزنها الكثير نحو:

تَصهال ـ تَرداد ـ تَرحال ـ تَهطال.. وغيرها.

فِعّيل:

وقد جاء على وزنه:

سجّيل ـ سكّيت ـ فسّيق ـ عبّيث (من العَبث) ـ وعمّيت (لا يهتدي لوجهته).

أفْعَل:

لم يرد أفعل إلا ومؤنثه فعلاء مثل: أخضر خضراء ـ أحمر حمراء.. إلا القليل، قالوا:

امرأة حسناء، ولم يقولوا: رجل أحسن.

وديمة هطلاء، ولم يقولوا: سحاب أهطل.

وشجرة مرداء، ولم يقولوا: ورق أمرد.

وغلام أمرد، ولم يقولوا: امرأة مرداء.

فاعِل:

ليس في كلام العرب فاعل بمعنى مفعول إلا بضع كليمات نحو:

تراب سافٍ بمعنى مسفي.

وعيشة راضية بمعنى مرضيّة.

ماء دافق بمعنى مدفوق.

سر كاتم بمعنى مكتوم.

فاعِل وفاعِلة:

فاعل يجمع على فواعل ـ إن وقع اسماً أو صفة، مثل:

حاجب حواجب ـ كاهل كواهل ـ حاتم حواتم ـ حامد حوامد.

تفعلة:

من نوادر المصادر، لم يأتِ عل وزنها إلا مصدر (تهلكة). قال تعالى:

﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، بضم اللام.

مفعُل:

ليس في كلام العرب على وزن مفعُل إلا أربعة هي:

مَكرُم ـ معوُن ـ ميسُر ـ مالُك (وهي الرسالة).

قال عدي:

أبلغ النعمان عني مالُكا ... أنه قد طال حبسي وانتظاري

تِفِعّال:

لم يرد في كلام العرب على هذا الوزن، إلا قولهم:

تملّقه تِمِلاقاً أي تلطّف إليه وتودد. قال الشاعر:

ثلاثة أحباب فحِبّ خلابة ... وحِبّ تِمِلاق وحِبّ هو القتل

أفعولة:

والجمع أفاعيل نحو:

أبطولة ـ أباطيل، أرجوحة ـ أراجيح، أرجوزة ـ أراجيز، أحبولة ـ أحابيل، أغلوطة ـ أغاليط، أكذوبة ـ أكاذيب، ألعوبة ـ ألاعيب، أضلولة ـ أضاليل، أهزوجة ـ أهازيج.

فاعِل:

في العدد يكون على قياس التذكير والتأنيث. تقول:

رجل واحد وثانٍ وثالث... وعاشر.

وامرأة واحدة وثانيةً وثالثة ... وعاشرة.

قال الشاعر:

ولو كان رمحاً واحداً لاتقيتُه ولكنه رمحٌ وثانٍ وثالث

فِعْلى:

حِجلى وظِربى.

روي أن أبا الطيب، سئل عن الكلمات على وزن فِعلى، فقال: حِجلى ظِربى. فبحث السائل في كتب اللغة، فلم يعثر على غيرها.

فاعول:

ومما يأتي على هذا الوزن:

بادوك (الكابوس).

باسور (واحد البواسير) وهي العِلّة المعروفة.

جاسوس (من يتفحص الأخبار في الشر).

حاسوس (من يتحسس الأخبار في الخير). قال تعالى:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٨٧].

حاطوم (السنة المجدبة) والحاطوم: الهاضوم وهو ما هضم من الطعام.

دامور: نهر معروف في لبنان.

داود اسم علم

راووق: المصفاة.

ساجور: خشبة توضع في عنق الكلب.

سارود: اسم نهر بين شيزر وحماة.

ساطور: سيف القصاب.

طاحون: الرحى.

طاوُس: الطائر المعروف.

فاروق: من يفرق بين الحق والباطل. وبه سمي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

قابوس: الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. وكني به النعمان بن المنذر.

كابوس: ما يقع على النائم، لا يقدر معه أن يتحرك.

كافور: نوع من الطيب. وعين ماء في الجنة طيب الرائحة. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان: ٥].

ماروت وهارت: ملكان ورد اسماهما في القرآن:

﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما قال تعالى:

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٧].

ناطور: معروف.

ياقوت: حجر كريم.

* * *

الموجز من الأمثال

وعوداً على بدء، ولإعجاب علماء العربية وغيرهم بالأمثال، نوجز الحديث ثانية عن المثل:

للعرب أمثالٌ كما لغيرهم من الأمم. فهي تمثل طرفاً جيداً من حياتهم وتعكس صوراً بينة من فصاحة ألسنتهم وقوة بصيرتهم وحدسهم واقتضاب جملهم.

قال أبو حيّان:

"بلاغة المثل أن يكون اللفظ مقتضباً والصورة محفوظة والمرمى لطيفاً والإشارة مُغنية والعبارة سائرة".

ومما زاد في رفعة قدر المثل ورود طائفة منه في القرآن الكريم، كما أسلفنا.

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

وقال: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: ٣٥].

وقال: ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٥].

وقد ألف علماء العربية ـ ولإعجابهم بالأمثال وبما حوته من تجارب ولطف وفوائد ـ المطولات، وتعاقبوا على شرحها وتبيان وقائعها وأصولها.

ومن أشهرها:

ـ مجمع الأمثال للميداني.

ـ الدرَّة الفاخرة للأصبهاني.

ـ المستقصى للزمخشري.

ـ أمثال القاسم بن سلام.

ـ أمثال الضبي.

ونسوق للقارئ الكريم بعض هذه الأمثال:

أثقل من الكانون

الكانون هو الذي إذا دخل على قوم يتحدثون استثقلوه كما يستثقل كانون النار، إذا وُضع لا يحرّك ولا يرفع لثقله إلى آخر الشتاء.

قال الحطيئة في هجاء أمه:

أغِربـــالاً إذا اســـتودِعت ســـراً   وكانونـــاً علـــى المتحدثينـــا

أجهل من فراشة

لأنها تلقي بنفسها في النار.

قال ابن أبي الحديد يخاطب الفلاسفة:

مـــا أنـــتم إلا الفـــراش   رأى الســـراج وقـــد توقـــد

فـــدنا فـــأحرق نفســـه   ولـــو اهتـــدى رشـــداً لأبعـــد

أجود من حاتم

هو حاتم الطائي، وكان جواداً شاعراً، إذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا أسر أطلق، وإذا أثرى أنفق، ومن قوله لامرأته:

أمـــاويَّ إن المـــال غـــادٍ ورائـــحٌ   ويبقى من المـال الأحاديث والذكـر

أحذر من ذئب

لأنه إذا نام جعل إحدى عينيه مُطبقة نائمة والأخرى مفتوحة حارسة.

قال الشاعر:

ينـــام بإحـــدى مقلتيـــه ويتقـــي بأخرى المنايـــا فهـــو يقظـــان نـــائم

أَحَشفاً وسوء كِيلة

الحشف: أردأ أنواع التمر.

أي: أتجمع حشفاً وسوء كيل؟!

يُضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين.

اختلط الحابل بالنابل

الحابل: صاحب الحِبالة التي يُصاد بها الوحش.

النابل: صاحب النبل.

يضرب للمخلّط.

أخف حِلماً من عصفور

العرب تضرب العصفور مثلاً لأحلام السخفاء، وكذلك البعير.

قال حسّان:

لا بأس بالقوم من طول ومـــن عِظَـــم جِسمُ البغـــال وأحلام العصافيـــر

وقال غيره:

ذاهـــبٌ طـــولاً وعَرضـــاً وهـــو في عقـــل البعيـــر

أرقّ من دمع المحبّ

وفيه يقول خالد الكاتب:

بكى عـــاذلي مـــن رحمـــتي فرَحِمتُـــه وكم مثلـــه مـــن مُســـعفٍ ومُعـــينِ

ورقَّت دمـــوع العـــين حـــتى كأنهـــا دموع دمـــوعي لا دمـــوع عيـــوني

اسمع جعجعة ولا أرى طحناً

يضرب لمن يَعِد ولا يَفي.

الفرقدان

الفرقدان نجمان من السماء لا يغربان، وفي صحبتهما يُضرب المثل.

قال الشاعر:

وكــــلّ أخ مفارقـــه أخـــوه لعَمْـــرُ أبيـــك إلا الفرقـــدان

أظلم من ذئب

أصله أن أعرابياً ربى جرو ذئب بلبن شاته، فلما شبّ وثب عليها فأكلها، فقال الأعرابي:

أكلـت شـويهتي وفجعـت قلـبي فمـــن أدراك أن أبـــاك ذيـــب

أعقد من ذنب الضَّب

لأن عقده كثيرة، تبلغ إحدى وعشرين عُقدة، فضرب به المثل للأمور المعقَّدة.

الصمت حكم وقليل فاعله

الحكم: الحكمة.

وفي التنزيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢].

سأل الشعبي أعرابياً عن طول صمته فقال:

أسمع فأعلم وأسكت فأسلم.

وقيل:

"إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب".

أمرّ من العلقم

ومن الحنظل، ومن الصبر. وقيل في مدح الصبر:

ولقد رأيتُ الصبـــر مـــراً طعمُـــه لكنـــه عنـــد الحقيقـــة يَعـــذُب

وقيل:

سأصبر حتى يعلـم الصبـــرُ أنـــي صبرتُ على شيء أمرّ مـــن الصـــبرِ

وقيل:

الصبـــر كالصبـــر مـــرّ مـــذاقتـــه لكنْ حقيقتُـــه أحلـــى مـــن العســـلِ

الهيبة من الخيبة

يعني إذا هبت شيئاً رجعت منه بالخيبة.

قال سَلْمُ الخاسر:

مـــن راقـــب النـــاس مـــات غمـــاً وفـــــاز باللـــــذة الجســـــور

أوفى من السموءل

هو السموءل بن عادياء، صاحب القصيدة المشهورة، ومطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللـــؤم عرضـــه فكـــــل رداء يرتديـــــه جميـــــل

ومن وفائه أن امرأ القيس لما أراد الخروج إلى قيصر استودعه دروعاً ريثما يعود. فلما مات امرؤ القيس غزا أحد الملوك السموءل، وهدّده بقتل ابنه إن لم يسلمه الدروع، فأبى السموءل أن يخفر ذمته، وتحرز بحصنه، فقتل الملك ابنه. ثم سلّم السموءل الدروع إلى ورثة امرئ القيس وقال:

وفيـــتُ بـــأدرع الكنـــدي إنـــي إذا مـــا خـــان أقـــوام وفيـــتُ

وضرب المثل بوفائه.

تشدّدي تنفرجي

يُقال عند اشتداد المصائب.

قال الشاعر:

اشــــتدي أزمـــــة تنفرجـــــي قـــــد آذن ليلُـــــك بالبَلَـــــج

البلوج: الإشراق.

بلج الصبح: أي أضاء.

وقال أبو تمّام:

ومـــــا مـــــن شـــــدة إلا ويـــــأتي لهـــا مـــن بعـــد شدَّتهـــا رَخـــاء

***

"فائدة"

(ما)

اسمية وحرفية

الاسمية: خمسة، هي:

استفهامية وشرطية وموصولة وتعجبية ونكرة بمعنى شيء:

الاستفهامية: ما مهنتك؟

الشرطية: ما تحصّل في الصغر ينفعْك في الكبر.

الموصولة: ما عندكم ينفد وما عند الله باق.

التعجبية: ما أجمل الربيع!

النكرة: مررت بما مُعجَب لك (أي بشيء معجب لك).

والحرفية: خمسة، هي: كافة ونافية وزائدة ومصدرية ومُهيئة:

الكافة: طالما، وقلما، وإنما، وكأنما.

النافية: ما حكّ جلدَك مثلُ ظفرك.

الزائدة: إذا ما، وأينما، وبينما، وكيفما.

المصدرية: هي التي تؤول هي وما بعدها بمصدر، هي نوعان: زمانية وغير زمانية، مثل:

الزمانية: ما دمت حياً (أي مدة دوامي حياً).

وغير الزمانية: وضاقت عليهم الأرض بما رحبت. أي برحبها.

المهيئة: تكون بعد ربّ فتهيئها للدخول على الفعل، نحو:

ربما أسافر غداً.

* * *

الباب السابع

التوقيعات

- ما المقصود بها ؟
- نماذج منها .
- توقيعات الخلفاء :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

عثمان بن عفان رضي الله عنه .

علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه .

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

التوقيعات

التوقيعات هي ما يعلّقه الخليفة أو الأمير أو الوزير أو الرئيس على ما يُقدَّم إليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال.

وهي قول قلَّ في كلامه، وكثُر في معناه ومقاصده.

ومن قال: خير الكلام ما قلَّ ودلّ؛ صدق.

وكثيراً ما تكون التوقيعات آية أو حديثاً أو بيتاً من الشعر.

ومن التوقيعات[1]:

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدده بالخلع، فوقَّع في كتابه:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ... أبشرْ بطول سلامةٍ يا مربعُ

ووقع في كتابه أيضاً:

«العاقبة للمتقين».

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده:

«وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً».

وكتب صاحب العراق إلى عمر بن عبد العزيز، يخبره عن سوء طاعة أهلها، فوقّع له:

«ارضَ لهم ما ترضى لنفسك، وخذهم بجرائمهم بعد ذلك».

وقد ظهرت الحاجة إلى التوقيعات في العصر الأموي لكثرة المخاطبات والشكايات

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه.

والمظالم والمطالب التي ترفع إلى الخلفاء من الولاة ومن الرعية، ومنها:

وقّع معاوية:

«نحن الزمان، من رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتضع».

ووقع زياد في قصة رجل شكا إليه عقوق ابنه:

«ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد».

ووقع هارون الرشيد إلى صاحب خراسان:

«داوِ جرحك لا يتسع».

* * *

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب في معنى هذا العنوان[1]

قيل لأعرابي: مالك لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقيل لأعرابي: كم بين بلد كذا وبلد كذا؟ قال: عُمر ليلة وأديم يوم.

وقال آخر: سواد ليلة وبياض يوم.

وقيل لأعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما صدري إلا له قبر.

قال معاوية لأعرابية: هل من قِرى؟ قالت: نعم، قال: وما هو؟ قالت: خبز خمير، ولبن فطير، وماء نمير.

وقيل لأعرابي: فيم كنتم؟ قال: كنا بين قِدر تفور، وكأس تدور، وحديث لا يحور[2].

وقيل لأعرابي: ما أعددتَ للبرد؟ قال: شدَّة الرّعدة، وقرفصاء القعدة، وذرب المعدة.

وقيل لأعرابي: ما لَكَ من الولد؟ قال: قليل خبيث؛ قيل له: ما معناه؟ قال: لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى.

وقيل: أضلَّ أعرابي الطريق ليلاً، فلما طلع القمر اهتدى، فرفع رأسه إليه متشكراً، فقال: ما أدري ما أقول لك، وما أقول فيك؟!

أقول: رفعك الله، فقد رفعك، ثم أقول: نوّرك الله، فقد نوّرك، أم أقول: عمّرك الله فقد عمّرك، ولكني أقول: جعلني الله فداك.

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه.

(٢) يحور: يعود.

وقيل لأعرابي: ما تقول في ابن العم؟ قال: عدوّك وعدوّ عدوّك.

وقيل لأعرابي: وقد أَدخلَ ناقتَه في السوق ليبيعها: صف لنا ناقتك؟ قال:

ما طَلبت عليها قط إلا أدركت، وما طُلبت إلا فُتّ.

قيل له: فلِمَ تبيعُها؟

قال: لقول الشاعر:

وقد تخرج الحاجات يا أمّ عامر كرائم من ربّ بهن ضنين

***

لأعرابي في ابنه

ولشريح فيمن لم يطق له جواباً

وقيل لأعرابي: كيف ابنك ـ وكان له عاقاً ؟

قال: عذاب لا يقاومه الصّبر، وفائدة لا يجب فيها الشكر، فليتني قد استودعته القبر.

قيل لشريح القاضي:

هل كلّمك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً؟

قال: ما أعلمه، إلا أن يكونَ أعرابياً خاصم عندي، وجعل يشير بيديه، فقلت له: أمسِك فإن لسانك أطول من يدك.

قال: أسامريّ أنت لا تمسّ.

***

قولهم في المناكح

بين جارية قديمة وأخرى جديدة

عن يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال:

تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة، وكانت جارية تمر على باب القديمة فتقول:

وما يستوي الرِّجلان رِجل صحيحة	ورِجل رمى فيها الزمان فشلّت

ثم مرّت بعد أيام فقالت:

وما يستوي الثّوبان ثوب به البِلى	وثوب بأيدي البائعين جديد

فخرجت إليها الجارية القديمة فقالت:

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى	ما القلب إلاّ للحبيب الأوّل
كم منزل في الأرض يألفه الفتى	وحنينه أبداً لأوّل منزل

***

لأعرابية تنصح بناتِ عم لها

عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: قالت أعرابية لبنات عم لها: السعيدة منكن يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرَين ورحَيّين، فينبّ التّيسان، وينهق العيران، وينبح الكلبان، وتدور الرحَيان، فيعجّ[1] الوادي. والشقية منكن من يتزوجها الحضري، فيكسوها الحرير، ويطعمها الخمير، ويحملها ليلة الزفاف على عود ـ تعني سرجاً ـ.

***

بين أعرابيين في دَيْن ويمين للعرب لا تحلف بها

قال الأصمعي:

اختصم أعرابيان إلى بعض الولاة في دَيْن لأحدهما على صاحبه، فجعل المدّعَى عليه يحلف بالطلاق والعِتاق، فقا له المدَّعِي:

دعني من هذه الأيمان، واحلف بما أقول لك: لا تَرَكَ الله لك خفاً يتبع خفاً، ولا ظلفاً

---

(١) يعج: أي يصبح في جلبة وضوضاء.

يتبع ظلفاً، وحتَّك من أهلك حتَّ الورق من الشجر، إن لم يكن لي هذا الحق قِبلك. فأعطاه حقَّه ولم يحلف له.

***

الحجّاج والأعرابي

خرج الحجاج متصيّداً بالمدينة، فوقف على أعرابي يرعى إبلاً له، فقال له:

يا أعرابي، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج؟

قال له الأعرابي:

غشوم ظلوم لا حيّاه الله، فقال: فلِمَ لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك؟

قال: فأظلم وأغشم.

فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيل، فأومأ الحجاج إلى الأعرابي، فأُخذ وحُمِل، فلما صار معهم، قال:

من هذا؟ قالوا له: الحجّاج.

فحرّك دابّته حتى صار بالقرب منه، ثم ناداه:

يا حجّاج، قال: ما تشاء يا أعرابي؟

قال: السرّ الذي بيني وبينك أحبُّ أن يكونَ مكتوماً. قال: فضحك الحجاجُ وأمر بتخلية سبيله.

***

بين جرير وأعرابي، ثم لأعرابيين ظريفين

قال الأصمعي: سمع أعرابي جريراً ينشد:

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني ... وكاد يقتلني يوماً بنعمان[1]

وكاد يقتلني يوماً بذي خشب ... وكاد يقتلني يوماً بسلمان

فقال: هذا الرجل أفلت من الموت أربع مرات، لا يموت هذا أبداً.

قال الشيباني:

بلغني أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتهما سنة فانحدرا إلى العراق، فبينما هما يتماشيان في السوق، واسم أحدهما خندان، إذا فارس قد أوطأ دابته رجل خندان، فقطع إصبعاً من أصابعه، فتعلّقا به حتى أخذا أرش[2] الإصبع، وكانا جائعين مقرورين، فلما صار المال بأيديهما قصدا إلى بعض الكرابج[3] فابتاعا من الطعام ما اشتهيا، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول:

فلا غرثة[4] ما دام في الناس كُربج ... وما بقيت في رجل خُندان إصبعُ

* * *

بين أعرابي وقوم من الكتبة

مرّ أعرابي بقوم من الكتبة في متنزه لهم وهم يأكلون، فسلّم، ثم وضع يده في الطعام يأكل معهم، فقالوا: أعرفت فينا أحداً؟ قال: بلى، عرفت هذا، وأشار إلى الطعام.

* * *

وخير الكلام ما اشتمل على موعظة.

وقال بعضهم: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان، لم تجاوز الآذان.

---

(١) سلمانان: من قرى مرو. نعمان: حصن من حصون زبيد من ناحية اليمن.

(٢) الأرش: الدّية.

(٣) الكرابج: الحوانيت، الواحد كُربج.

(٤) غرثة: في بعض الأصول (غربة) وفي بعضها: غرت.

وقالوا: ما أحسن التاج! وهو على رأس الملك أحسن، وما أحسن الدّر! وهو على نحر الفتاة أحسن، وما أحسن الموعظة! وهي من الفاضل التقي أحسن.

وقال زياد: أيها الناس! لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا. قال الشاعر:

اعمل بقولي وإن قصـرْت في عملـي ... ينفعْك قولي ولا يضـررْك تقصـيري

***

موعظة للنبي ﷺ

قال أبو بكر بن أبي شيبة، يرفعه إلى النبي ﷺ:

«يكفي أحدكم من الدنيا قدر زاد الراكب». وقال ﷺ:

«ابن آدم! اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

***

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه، فوقّع في أسفل كتابه: ابنِ ما يكنّك من الهواجر وأذى المطر.

ووقّع إلى عمرو بن العاص: كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرُك.

* * *

عثمان بن عفان رضي الله عنه

وقّع في قصة قوم تظلّموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجءِ أعناقهم: فإن عصوْك فقل: إني بريء مما تعملون.

ووقّع في قصة رجل شكا عيلة:

قد أمرنا لك بما يُقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف.

* * *

علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه

وقّع إلى طلحة بن عبيد الله: في بيته يؤتى الحكم.

ووقّع في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضي الله عنهما: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.

ووقّع في كتاب سلمان الفارسي، وكان سأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة: يحاسبون كما يرزقون.

ووقّع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة: بقية السيف أنمى عدداً.

وفي كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره: من لك بأخيك كله؟

وفي كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء: قيمة كل امرئ ما يُحسن.

* * *

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

كتب إليه عبد الله بن عامر في أمر عاتبه فيه، فوقّع في أسفل كتابه: بيت أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب[1]، فأما في الإسلام؛ فأنت تراه.

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقطعه مالاً بالطائف: عش رجباً ترَ عجباً.

وفي كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عبّاس في خلافته: إن أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهلية في مسلاخ واحد، وذلك حلف لا يحلّه سوء أدبك.

وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر ألف جذع: أدارك في البصرة أم البصرة في دارك؟

* * *

يزيد بن معاوية

وقّع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصته: احكم لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم. فحكم بتسعمائة ألف، فأجازها.

وكتب إليه مسلم بن عقبة المري بالذي صنع أهل الحرة، فوقّع في أسفل كتابه: فلا تأسَ على القوم الفاسقين.

* * *

(١) هو حبيب بن عبد شمس.

عبد الملك بن مروان

وقّع في كتاب أتاه من الحجاج: جنّبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطّلب.

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسي منهم، ويستأذنه في قتل أشرافهم، فوقّع له: إن من يمن السائس أن يتألف به المختلفون، ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون.

وفي كتاب الحجاج يخبره بقوّة ابن الأشعث: بضَعْفك قوي، وبخُرقك طلع.

ووقّع في كتاب ابن الأشعث:

فما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظاً وينوي من سفاهته كسري؟

***

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه فرق فيما خلف له عبد الملك، يُنكر ذلك عليه ويُعرفه أنه على غير صواب، فوقّع في كتابه: لأجمعنّ المال جمع من يعيش أبداً، ولأفرقنّه تفريق من يموت غداً.

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز: قد رأب الله بك الداء، وأوذم[1] بك السقاء.

***

هشام بن عبد الملك

في قصة متظلم: أتاك الغوث إن كنت صادقاً، وحلّ بك النكال إن كنت كاذباً، فتقدّم أو تأخّر.

---

(١) أوذمَ: شدّ.

وفي قصة قوم شكوا أميرهم: إن صحّ ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه.

* * *

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وقّع إلى مروان: أراك تقدّم رِجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت.

وإلى صاحب خراسان في المسودة: نجمَ أمرٌ أنت عنه نائم، وما أراك منه أو مني بسالم.

* * *

الباب الثامن

«مسك الختام»

- الأمثال في شعر المتنبي.
- أنصاف أبيات.
- مختارات من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه.
- من قضايا اللفظ والمعنى:

أ ـ أقسام الشّعر وعيوبه.

ب ـ عيب المعنى، وائتلاف اللفظ.

الأمثال في شعر المتنبي

جاء في كتاب «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»[1]:

«إن شعره امتاز على شعر معظم الشعراء لأنه عرف الحياة، وسبر روح الجماعات، فصورها أحسن تصوير، وعبر عن مرامي النفوس وأهوائها أدق تعبير، فامتلأ لذلك شعره بالحكم والأمثال، وغدت أقواله مرآة المجتمع والأحوال».

وعندما تطالع هذه اللوحات الفنية الرائعة لقصائد هذا الشاعر الملهم، وشاعر الحكمة، فإنك قلما تجد قصيدة تخلو من كنز الحكمة والمثل.

ويرى المرحوم عباس محمود العقاد[2]، أن سبباً واحداً كان له نصيب في شهرة أبي الطيب، لم يكن لسبب آخر، ذلك هو الطبع العربي الذي أعانه على تمثيل أبناء قومه، فإنه عبّر عن ذلك الطبع العربي أصدق تعبير، في زمن التنبه والحساسية القومية، وجاء تعبيره عن عالمه حيث يشيع التعبير وتتجاوب أصداؤه في النفوس والخواطر قبل الألسنة والأقلام.

لأنه كان يعبر عن العبقرية العربية في معترك الحياة العملية، وهو جانب من حياة الأمة أقرب إلى الحس، وأدعى إلى السيرورة بين أبنائها من كل جانب تنطوي عليه عبقريتها.. وقد أُعينت السليقة في المتنبي بمدد واف من التعلم والصناعة، فكان أوسع الشعراء في زمانه معرفة باللغة وآدابها، وبالثقافة الأجنبية التي انتقلت إليها.

وقيل: إنه كان يحفظ ديواني أبي تمام والبحتري، وإنه جمع شعر ابن الرومي كله، وأضاف إلى علمه باللغة علماً بالفلسفة وأقوال المتكلمين، كما يظهر من معانيها المتفرقة في قصائده الكثيرة.

---

(١) مقدمة الكتاب المذكور للأستاذ عز الدين التنوخي.

(٢) تراث الإنسانية: المجلد الأول (٦ ـ ١٦).

ثم يعود العقاد فيقول:

وندر من الشعر من يحتفظ بطابعه في مفرداته ومتفرقاته، كما يحتفظ بها في مطولاته، أو جملة الأبيات من مقطوعاته، وأبو الطيب من أوائل هؤلاء النوادر الذين يُعرفون بالبيت الواحد من أشعارهم، بل بالشطرة المنفردة من البيت.

لأنه ذو عرف بأبياته التي سارت مسير الأمثال بين جمهرة من رواة الشعر لم تعرفه بغير تلك الأبيات.

قال صاحب ابن العميد:

دخلت عليه يوماً فوجدته واجماً، وكانت قد ماتت أخته عن قريب، فقلت له: لا يُحزن الله الوزير، ما الخبر؟ قال: إنه ليغيظني أمر هذا المتنبي، واجتهادي في أن أخمل ذكره، وقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية، ما منها إلا وقد صدر بقول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

طوى الجزيرة حتى جاءني نبأ ... فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً ... شرقت بالدمع حتى كادَ يشرق بي

فكيف السبيل إلى إخماد ذكره؟

قلت: أيها الوزير! القدر لا يغالب، والرجل ذو حظ عظيم من إشاعة الذكر، واشتهار الاسم، فالأولى أن لا تشغل قلبك بهذا الأمر.

ومن الأمثال في شعره وهي كثيرة جداً كما أسلفنا، قوله:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

والمثل في البيت الأول:

«فيك الخصام وأنت الخصم والحكم».

انتشر انتشاراً كبيراً، وأصبح الناس يتداولونه ويقولونه، مذ قيل إلى الآن، فجرى على كل لسان.

ومن أمثاله أيضاً، على سبيل المثال قوله:

ـ في الهمة العالية، وغاية الكرم:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم — وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها — وتصغر في عين العظيم العظائم[1]

ـ عدم تحقيق ما يصبو إليه بعض الناس:

ما كلّ ما يتمنى المرء يدركه — تجري الرياح بما لا تشتهي السُّفن[2]

ـ وفي النزعة الشريرة لدى البعض، قال:

كلّما أنبت الزّمان قناةً — ركب المرء في القناة سناناً[3]

ـ وفي معنى «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها» وأن الشريف يضحي بجسمه حيال المحافظة على شرفه، قال:

يهون علينا أن تصاب جسومنا — وتسلم أعراض لنا وعقول

ـ والإنسان على طبعه، فإن طُبع على السوء، أساء الظن في غيره، كما قال:

وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه — وصدّق ما يعتاده من توهّم

---

(١) ديوانه.

(٢) ديوانه.

(٣) ديوانه.

ـ والوصول للمعالي يحتاج للتضحيات وركوب المخاطر، حسب قوله:

تريـــدين لقيـــان المعـــالي رخيصـــة ... ولا بدّ دون الشّهد من إبر النّحـــل[1]

ويقترب معنى هذا البيت، من معنى الأبيات الآتية للمتنبي:

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــاراً ... تعبـــت في مرادهـــا الأجســـام

إذا غـــامرت في شـــرف مـــروم ... فـــلا تقنـــع بمـــا دون النجـــوم

فطعـــم المـــوت في أمـــر حقـــير ... كطعـــم المـــوت في أمـــر عظـــيم[2]

وتعتبر هذه الحكم والأمثال وغيرها، لأبي الطيب المتنبي، ومن هم على شاكلته من شعراء الحكمة والأمثال، كزهير بن أبي سلمى مثلاً، والذي يقول:

ومن هـــاب أســـباب المنايـــا ينلنـــه ... وإن يرق أسباب الســـماء بســـلّم[3]

وقوله:

لسان الفتى نصف ونصـــف فـــؤاده ... فلم يبقَ إلاّ صورة اللحـــم والـــدّم[4]

***

(١) ديوان المتنبي.

(٢) ديوان المتنبي.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى.

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى.

من الألفاظ الموجزة، ذات المعاني الكبيرة والرفيعة والمميزة والمؤثرة، مدار البحث في كتابنا: «الإيجاز في الألفاظ»، ذات الألوان الجميلة واللوحات الفنية الرائعة والخلابة، في الإيجاز في الألفاظ

أنصاف الأبيات

والتي احتلت جانباً فسيحاً من جوانب أدبنا العربي المشرق. ومنها:

ـ مصائب قوم عند قوم فوائد. لزهير بن أبي سلمى.

ـ إن المنايا لا تطيش سهامها. للبيد بن ربيعة.

ـ وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر. لأبي فراس الحمداني.

وأنصاف الأبيات كثيرة، وواضحة، وجلية، في معظم قصائد المتنبي وغيره، والتي ضمنها معظم الشعراء وغيرهم في معظم نتاجهم، وقد جرت مجرى الأمثال ومنها على سبيل المثال:

«رب عيش أخف منه الحمام».

«ومن قصد البحر استقل السواقيا».

«مصائب قوم عند قوم فوائد».

«وخير جليس في الزمان كتاب».

«ويستصحب الإنسان من لا يلائمه».

«وفي عنق الحسناء يُستحسن العقد».

«وليس كل ذوات المخلب السبع».

«في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل».

«وكل مكان ينبت العز طيب».

«ما لجرح بميت إيلام».

«وحسب المنايا أن يكن أمانيا».

«يخلو من الهم أخلاهم من الفطن».

«وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا».

«ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا».

مختارات من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه

ومن جمال وحديقة الألفاظ الموجزة، ما جاء في كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه:

المال عند من لا يستحقه. منه قولهم:

خرقاء وجدت صوفاً. وعبد ملك عبداً فأولاه تباً[1].

وقولهم: من يطل ذيله يتنطق به[2]. ومرعى ولا أكولة[3]. وعشب ولا بعير. ومال ولا منفق.

الحض على الكسب. منه قولهم:

اطلب تظفر.

وقولهم: من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره..

وقولهم: من العجز نتجت الفاقة. وقولهم: لا يفترس الليث الظبي وهو رابض. وقول العامة: كلب طوّاف خير من أسد رابض. وقولهم:

أوردها سعد وسعد مشتمل[4] ما هكذا تُورد يا سعد الإبل[5]

---

(١) التب: الخسار.

(٢) ويروى: يطأ فيه.

(٣) الأكولة: الشاة تعزل لتسمن.

(٤) سعد: هو سعد بن زيد مناة، أخو مالك. والاشتمال: إدارة الثوب على الجسد كلّه. وكان مالك هذا آبل أهل زمانه، ثم إنه تزوج وبنى بامرأته، فأورد أخوه سعد الإبل، فلم يحسن القيام عليها، والرفق بها. فقال مالك هذا البيت.

(٥) في بعض الأصول: يا سعد لا تروى على ذاك الإبل.

الخبير بالأمر البصير به. ومنه قولهم:

على الخبير سقطت.

وقولهم: كفى قوماً بصاحبهم خبيراً[1].

وقولهم: لكل أناس في جمالهم خُبر. وقولهم: على يدي دار الحديث. تعلمني بضب أنا حرشته[2]. وقولهم: أتخبرني بأمر أنا وليته؟ وقولهم: ولِّ[3] القوس باريها. وقولهم: الخيل أعلم بفرسانها. وقولهم: كل قوم أعلم ببضاعتهم. وقولهم: قتل أرضاً عالمُها، وقتلت أرضٌ جاهلَها.

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه. من ذلك قولهم:

ما وراءك يا عصام؟

أول من تكلم به النابغة الذبياني لعصام صاحب النعمان، وكان النعمان مريضاً، فكان إذا لقيه النابغة قال له: ما وراءك يا عصام؟ وقولهم: سيأتيك بالأخبار من لم تزوّد. وإليك يساق الحديث.

انتحال العلم بغير آلته ـ منه قولهم:

كالحادي وليس له بعير.

وقال الحطيئة: كالماشي وليس له حذاء. وقولهم: إنباض[4] بغير توتير. وكقابض على الماء. أخذه الشاعر فقال:

---

(١) هذا المثل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قاله في العلياء بن الهيثم السدوسي، وكان قد وفد عليه بهيئة رثة، وكان دمياً أعور، فلما كلمه أعجبه بجودة لسانه وحسن بيانه، فقال هذا المثل: أراد أنهم لم يسودوه إلا لمعرفتهم به.

(٢) حرشته: صدته.

(٣) ويروى: «أعط» مكان «ولِّ».

(٤) الإنباض: تحريك وتر القوس لترن. والتوتير: شد وترها. ولا يكون إنباض قبل توتير.

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض ... على الماء خانته فروج الأصابع

وخرقاء ذات نيقة[1]. يضرب للرّجل الجاهل بأمر يدّعي معرفته.

من يوصي نفسه وينسى غيره.

يا طبيب طب لنفسك[2].

ومنه: لا تعظيني وتَعَظْعَظِي[3]. أي لا توصيني وأوصِ نفسك.

توسط الأمور. من ذلك قولهم:

لا تكن حلواً فتسترط، ولا مُراً فتُعقى.

أي تلفظ. يقال: أعقى الشيء، إذا اشتدت مرارته. قال الشاعر:

ولا تكُ آنياً[4] حلواً فتحسى ... ولا مراً فتنشب في الحِلاق

وتقول العامة: لا تكن حلواً فتؤكل ولا مراً فتلفظ. وتوسط الأمور أدنى إلى السلامة.
ومنه قول مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: الحسنة بين السيئتين[5]. وخير الأمور أوسطها، وشر

(١) النيقة: من التنوق. وهو التأنق في الأمر.

(٢) طب لنفسك: أي علم هذا النوع من العلم لنفسك.

(٣) في لسان العرب (مادة عظظ) عند الكلام على هذا المثل: تعظعظي: كفّي وارتدي عن وعظك إياي، ومنهم من جعل تعظعظي بمعنى اتعظي. ورواه أبو عبيدة وفسره كما هنا، قال الجوهري: وهذا الحرف جاء عنهم هكذا فيما رواه أبو عبيد، وأنا أظن: وتعظعظي، بضم التاء، أي لا يكن منك أمر بالصلاح وأن تفسدي أنت في نفسك، فيكون من عظعظ السهم، إذا التوى. يقول: كيف تأمرينني بالاستقامة وأنت تتعوجين.

(٤) الآني: الذي بلغ غاية نضجه.

(٥) هذا المثل لعمر بن عبد العزيز لا لمطرف، وكان عمر دخل على عبد الملك بن مروان، وكان ختنه على ابنته فاطمة، فسأله عن معيشته كيف هي؟ فقال عمر: حسنة بين السيئتين ومنزلة بين المنزلتين. فقال عبد الملك: خير الأمور أوساطها. أما كلام مطرف المنسوب إليه في كتب الأمثال فهو قوله لابنه لما اجتهد في العبادة: خير الأمور أوساطها وشر السير الحقحقة.

السير الحقحقة[1].

قوله: بين السيئتين، يريد بين المجاوزة والتقصير. ومنه قولهم: بين الممخّة[2] والعجفاء. يريد بين السمين والمهزول. ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خير الناس هذا النّمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي.

الإنابة بعد الإجرام. منه قولهم:

أقصرَ لما أبصَر.

ومنه: أتبع السيئة الحسنة تمحها. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. والندم توبة. والاعتراف يهدم الاقتراف.

مدافعة الرجل عن نفسه.

جاحش فلان عن خيط رقبته.

وخيط الرقبة: النخاع، يقول: دافع عن دمه ومهجته. وقالت العامة: وأية نفس بعد نفسك تنفع. ومنه: أدفع عن نفسي إذا لم يكن عنها دافع.

النبيه بلا منظر ولا سابقة.

قال أبو عبيد: هو الذي تسميه العرب الخارجي. يريدون خرج من غير أولية كانت له. قال الشاعر:

أبـا مـروان لسـت بخـارجي ... ولـيس قـديم مجـدك بانتحـال

وقولهم: تسمع بالمعيديّ خير من أن تراه، وهو تصغير رجل منسوب إلى معد[3].

---

(١) الحقحقة: أرفع السير وأتعبه للظهر. وقيل: هي إتعاب ساعة وكف ساعة.

(٢) كذا في أ. ومجمع الأمثال. والممخة: الشاة بدا في عظامها المخ. والذي في سائر الأصول: المنيحة، وهو تحريف.

(٣) قيل: إن المقول فيه هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر، من بني نهشل، حين أعجب المنذر بن ماء السماء حديثه وكان لا منظر عنده.

وقالوا: نفس عصام سوّدت عصاما[1].

تأديب الكبير.

قالوا: ما أشد فطام الكبير! وقولهم: عوْد يقلَّح. أي: جمل مُسِنّ تُنقى أسنانه[2]. وقالوا: من العناء رياضة الهرِم. قال الشاعر:

وترُوض عِرسَك بعدما هرِمتْ ومن العَناء رياضةُ الهرِمِ

وقولهم: أعيَيْتني بأُشُر[3] فكيف بدُرر. يقول: أعييتني وأنت شابة، فكيف إذا بدت درادِرُك، وهي مفارز الأسنان.

الذليل المستضعف. منه قولهم:

لا يعوي ولا ينبح من ضعفه.

يقول: لا يتكلم بخير ولا شر. وقولهم: أهون مظلوم سِقاء مُروّب، وهو السِّقاء الذي يُلفّ حتى يبلغ أوان المخض. وقالوا: أهون مظلوم عجوز معقومة. وقولهم:

لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب[4].

الذليل يستعين بأذل منه. قالوا:

عبدٌ صريخة أمة.

---

(١) هو عصام بن شهير، حاجب النعمان بن المنذر، الذي قال له النابغة حين حجبه عن عيادة مولاه من قصيدة أولها:

فإني لا ألومك في دخول ولكن ما وراءك يا عصام

(٢) التقليح: إزالة القلح، وهو خضرة أسنان الإبل، وصفرة أسنان الإنسان. وقد زيد في بعض الأصول بعد قوله: أسنان. «والفليخ: أشد الهرير».

(٣) بأشر: أي ذات أشر. والأشر: حدة ورقة في أطراف الأسنان.

(٤) أصل هذا المثل أن رجلاً من العرب كان يعبد صنماً فنظر يوماً إلى ثعلبين جاءا حتى بالا عليه، فقال:

أربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

وقولهم: مثقل استعان بذقنه. وأصله البعير يُحْمل عليه الحِمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيعتمد على الأرض بذقنه. وقولهم: العبدُ من لا عبد له.

الأحمق المائق. قالوا:

عدو الرجل حمقُه، وصديقُه عقله.

وقولهم: خرقاء عيّابة، وهو الأحمق الذي يعيب الناس. قالوا في الرجل إذا اشتد حمقه جداً: ثاطة مُدّت بماء: الحمأة، فإذا أصابها الماء ازدادت فساداً ورطوبة.

الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان. منه قولهم:

تجنّب روضة وأحال يعدو.

يقول: ترك الخير[1] واختار الشقاء. وقولهم: لا يخلو مسْك السَّوء عن عرْف السَّوء. يقول: لا يكون جلد رديء إلا والريح المنتنة موجودة فيه. ومنه قول العامة: قيل للشقيّ: هلمّ إلى السعادة! قال: حسبي ما أنا فيه. ومنه قول العامة:

إن الشقيّ بكلّ حبل يختنق.

وقولهم: لا يعدم الشقيّ مُهيّرا، أي لا يعدم الشقيّ رياضة مُهر[2].

الرجل تريد إصلاحه وقد أعياك أبوه قبله. منه قولهم:

لا تقتن من كلب سوء جرْواً. وقال الشاعر:

ترجو الوليد وقد أعياك والده ... وما رجاؤك بعد الوالد الولدا

الاستغناء بالحاضر عن الغائب. قولهم:

إن ذهب عيرٌ فعيرٌ في الرِّباط[3].

---

(١) في بعض الأصول: الخصب.

(٢) أي لا يعدم الشقي شقاوة، وذلك لأن تربية المهر شديدة لبطء خيره.

(٣) العير: الحمار، ويريد به هنا الحمار الوحشي. والرباط (هنا) حبالة الصائد. يقول للصائد: إن ذهب عير فلم يبق في الحبالة فاقتصر على ما علق به.

ومنه: إذا غاب منها كوكبٌ لاح كوكبُ.

وقولهم: رأس برأس وزيادة خمسمائة. قالها الفرزدق في رجل كان في جيش، فقال صاحب الجيش: من جاء برأس فله خمسمائة [درهم. فبرز رجل وقتل رجلاً من العدو، فأعطاه خمسمائة درهم]، ثم برز ثانية، فقتل، فبكى عليه أهله، فقال لهم الفرزدق: أما ترضون رأساً برأس وزيادة خمسمائة؟

المقادير. ومنه قولهم:

المقادير تريك ما لا يخطر ببالك.

وقولهم: إذا نزل القدر غشّى البصر. وإذا نزل الحيْن غطى العين. ولا يغني حذَر من قدَر. ومن مأمنه يُؤتى الحذر.

ما يقال للجاني على نفسه.

يداك أوكتا وفُوك نفخ.

وأصله أن رجلاً نفخ زِقاً وركِبَه في النهر، فانحلّ وخرجت الريح وغرق الرجل، فاستغاث بأعرابي على ضفة النهر، فقال: يداك أوكتا وفُوك نفخ.

تصرّف الدهر. منه قولهم:

مرّة عيش ومرّة جيش[1].

ومنه: اليوم خمر وغداً أمر. قاله امرؤ القيس أو مهلهل أخو كليب لما أتاه موت أخيه وهو يشرب. وقالوا: عش رجباً[2] ترَ عجباً. وقالوا: أتى الأبد على لُبد[3]. وقال الشاعر:

فيـــوم علينـــا ويـــوم لنـــا ويومـــاً نُســـاء ويومـــاً نُســـرّ

---

(١) أي مرّة سلم فبقاء ومرة حرب ففناء.

(٢) أي عش رجباً بعد رجب، يريد عاماً بعد عام.

(٣) لبد: آخر نسور لقمان.

وقولهم: من يجتمع تتقعقع عمُدُه[1] وأنشد:

أجارتَنا من يجتمع يتفرَّق ... ومن يك رهناً للحوادث يَغْلَقِ[2]

الأمر الشديد المعضل. منه قولهم:

أظلَمَ عليه يومُه.

وأين يضع المخنوقُ يده؟

ومنه قولهم: لو كان ذا حيلة لتحوّل. ومنه قولهم: رأى الكوكب ظُهْراً[3].

قال طرفة: وتريه النجم يجري[4] بالظهر.

هلاك القوم. منه قولهم:

طارت بهم العنقاء.

وطارت بهم عُقاب ملاع[5]، يقال ذلك في الواحد والجمع، وأحسبها معدولة عن ميلع[6]. والمنايا على الحوايا.

قال أبو عبيد: يقال: إن الحوايا في هذا الموضع مَرْكب من مَراكب النساء، واحدتها حويّة، وأحسب أصلها أن قوماً قتلوا فحُملوا على الحوايا، فظنّ الراؤون أن فيها نساء، فلما كشفوا عنها أبصروا القتلى، فقالوا ذلك، فصارت مثلاً. ومنه:

أتتهم الدُّهيم ترمي بالرَّضف[7]. معناه: الداهية العظيمة.

---

(١) قعقعة العمد: صوتها عند جمعها وحملها، وهي كناية عن الرّحيل وتقويض الخيام.

(٢) الغلق في الرهن: ضد الفك.

(٣) أي أظلم عليه يومه حتى أبصر النجم نهاراً.

(٤) في بعض الأصول: يهوي.

(٥) ملاع: اسم فعل من الملع، وهو السرعة الشديدة. وقيل: ملاع: هضبة عقبانها أخبث العقبان.

(٦) كذا في ي. والميلع: السريع.

(٧) الرضف: الحجارة المحماة.

وهذا أمر لا يُنادى وليده، معناه: أن الأمر اشتد حتى ذَهِلت المرأة أن تدعو وليدها.

ومنه: التقت حلقتا البطان[1]. وبلغ السيل الزبى[2]. وجاوز الحزم الطُبيين[3]. وتقول العامة: بلغ السِّكين العظم.

تجديد الحزن بعد أن يبلى[4]. منه قولهم:

حرّك لها حُوارها[5] تَحِنّ.

وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام: أخرج إليهم قميص عثمان رضوان الله عليه الذي قُتل فيه. ففعل ذلك معاوية، فأقبلوا يبكون، فعندها قال عمرو: حرّك لها حُوارها تَحِنّ.

جامع أمثال الظلم. منه قولهم:

الظلم مرتعه وخيم.

وفي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة». ومنه: فإنك لا تجني من الشوك العنب. وقولهم: الحرب غشوم.

الظلم من نوعين. منه:

أَحَشَفاً وسوء كيلة.

ومنه: أغدَّةٌ كغدَّة البعير وموت في بيت سَلُوليّة.

وهذا المثل لعامر بن الطُّفيل، حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي ﷺ، فلجأ إلى

---

(١) البطان: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير. وله حلقتان، فإذا التقيا فقد بلغ الشد غايته.

(٢) الزبى: جمع زبية، وهي الرابية، التي لا يعلوها الماء.

(٣) الطبي (بالضم والكسر) حلمات الضرع التي فيها اللبن، من الخف والظلف والحافر والسباع. وبلوغ الحزام الطبيين قد انتهى إلى أبعد غاياته فكيف إذا جاوزه.

(٤) في بعض الأصول: يبكي فيه، مكان: يبلى.

(٥) الحوار: ولد الناقة ساعة تضعه.

امرأة من سَلول فهلك عندها.

ومنه: أغَيْرةٌ وجُبناً. قالته امرأة من العرب لزوجها، تُعيِّره حين تخلف عن عدوه في منزله، ورآها تنظر إلى قِتال الناس فضربَها. فقالت: أغَيْرة وجُبناً. وقولهم: أكَسْفاً وإمساكاً. أصله الرجل يلقاك بعبوس وكُلوح مع بُخل ومَنْع. وقولهم: يا عبْرى مُقْبلة، يا سهْرى مُدبرة[١]. يُضرب للأمر الذي يكره من وجهين. ومنه قول العامة:

كالمستغيث من الرَّمضاء بالنار.

وقولهم: للموت نَزَع والموت بَدَر. وقولهم: كالأشقر إن تقدَّم نُحِر، وإن تأخّر عُقر[٢]. وقولهم: كالأرقم[٣] إن يُقتل ينقِم، وإن يترك يلقم. يقول: إن قتلته كان له من ينتقِم منك، وإن تركته قتلك. ومنه: هو بين حاذفٍ وقاذفٍ. الحاذف: الضارب بالعصا. والقاذف: الرّامي بالحجر.

اغتنام ما يعطي البخيل وإن قلّ. منه:

خذ من الرُّضفة[٤] ما عليها.

وخذ من جذع ما أعطاك.

قال ابن الكلبي: وأصل هذا المثل أن غسّان كانت تؤدي إلى ملوك سَليح دينارين كلّ سنة عن كلّ رجل، وكان الذي يَلي ذلك سبطة بن المنذر السَّليحي، فجاء سبطة إلى جذع بن عمرو الغسّاني يسأله الدينارين، فدخل جذع منزله، واشتمل على سيفه، ثم خرج فضرب به

---

(١) عبرى: باكية. سهرى: ساهرة.

(٢) كالأشقر، أي كالفرس الأشقر، والعرب تتشاءم به.

وقيل هذا من قول لقيط بن زرارة يوم جبلة وكان على فرس أشقر فجعل يقول: أشقر، إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك، فاثبت.

(٣) الأرقم من الحيّات الذي منه سواد وبياض، وهو أخبث الحيّات، وكان العرب تزعم أن الجن تطلب بثأره إذا قتل.

(٤) الرُّضفة: واحدة الرُّضف، وهي حجارة تحمى وتطرح في اللّبن ليسخن أو يجمد، فيعلق بها شيء منه.

سبطة حتى سكت، ثم قال له: خذ من جذع ما أعطاك. فامتنعت غسّان من الدينارين بعد ذلك، وصار المُلك لها حتى أتى الإسلام.

البخيل يعطي مرّة. منه قولهم:

ما كانت عطيّته إلا بيضة العقر، وهي بيضة الديك.

قال الزُّبيري: الديك ربما باضَ بيضة، وأنشد البشّار:

قد زُرتــني زورة في الــدهر واحــدةً ... ثـــنِّ ولا تجعلـــها بيضـــةَ الــدّيك

ومنه قول الشاعر:

لا تعجــبنّ لخــير زلّ مـــن يـــدِه ... فالكوكب النّحس يَسْقي الأرض أحيانـــاً

ومنه قولهم:

من الخواطئ سهم صائب.

والليل طويل وأنتَ مقمر[1].

وأصل هذا أن سُليك بن سلكة كان نائماً مشتملاً، فجثم رجل على صدره، وقال له: اسْتأسِر. فقال له: الليل طويل وأنت مُقمر.

* * *

(١) أقمر الرجل: ارتقب طلوع القمر.

من قضايا اللفظ والمعنى

١ ـ أقسام الشعر:

لقد تحدّث الكثيرون من الأدباء والنّقاد عن أقسام الشعر، فأصابوا، ومنهم أبو محمد بن قتيبة، العلامة، الإمام، العالِم. في كتابه المشهور: «الشعر والشعراء».

وقد أصاب الهدف، وأعطى الموضوع حقّه وافياً، من مختلف جوانبه.

قال أبو محمد: تدبَّرت الشّعر فوجدته أربعة أضرب:

أ ـ ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية[١]:

في كفّه جيزران ريحه عَبِق   من كفّ أروع في عرنينه شَمَمُ[٢]

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته   فما يكلّم إلاّ حينَ يبتسمُ[٣]

لم يُقل في الهيبة أحسن منه.

وكقول أوس بن حجر[٤]:

أيّتها النّفس أجملي جزعاً   إن الذي تحذرين قد وقعا

---

(١) في بعض بني أمية. وقيل: هذان البيتان قيلا في مدح عبد الملك بن مروان. وورد في شرح التبريزي نقلاً عن أبي تمام أنهما للفرزدق مدح بهما زين العابدين.

(٢) وفي رواية: بكفه في موضع (من كف)، وأورد أبو تمام في الحماسة ريحها في موضع (ريحه). والريح: الرائحة. العرنين: الأنف. الشمم: ارتفاع قصبة الأنف مع حسنها. وقوله: في عرنينه شمم، كناية عن الأنفة وكرم النفس.

(٣) فما يكلّم. وفي رواية: فلا تكلّم.

(٤) أوس بن حجر: شاعر جاهلي، اشتهر بالوصف والطرديات (وصف الصيد)، وبرع في وصف الحروب.

وكقول أبي ذؤيب[1]:

والنّفس راغبة إذا رغّبتها ... وإذا تُردّ إلى قليل تقنع

وذكر الأصمعي أن هذا أبدع بيت قالته العرب.

وكقول حميد بن ثور:

أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وكقول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب.

ب ـ وضرب منه، حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتّشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول القائل[2]:

ولما قضينا من منى كلّ حاجة ... ومسّحَ بالأركان كلّ ماسح

وشدَّت على حدب المهاري ولا ... ينظر الغادي الذي هو رائح[3]

أخذنا بأطراف الحديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الأباطح[4]

ونحوه قول جرير[5]:

يا أخت ناجية السلام عليكم ... قبل الرَّحيل وقبل لوم العُذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرَّحيل فعلت ما لم أفعل

---

(١) أبو ذؤيب: أحد الشعراء الهذليين. وهذا البيت من مرثية أبي ذؤيب في بكاء أولاده. (المفضليات للضبي).

(٢) وردت هذه الأبيات في أمالي الشريف المرتضى ونسبها إلى عقبة بن كعب بن زهير.

(٣) المهاري: الإبل. (المهرية: نسبة إلى بني مهرة).

(٤) وسالت: وفي رواية، وشالت. وفي ثانية: ومالت.

(٥) قصيدة جرير التي منها هذه الأبيات، هي في هجاء الأخطل.

وقوله:

بان الخليط ولو طوعت ما بانا ... وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
إنّ العيون التي في طرفها حَوَرٌ ... قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا
يَصرعن ذا اللّب حتى لا حراك به ... وهنّ أضعف خلق الله إنسانا

ج ـ وضرب منه، جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك، فإنه قليل الماء والرونق، وكقول النابغة للنعمان:

خطاطيف حُجن في حبال متينة ... تمد بها أبداً إليك نوازع

قال أبو محمد:

رأيت علماءنا يستجيدون معناه، ولست أرى ألفاظه جياداً ولا مبيّنة لمعناه، لأنه أراد: أنت في قدرتك عليّ كخطاطيف عقف يمد بها، وأنا كدلو تمد بتلك الخطاطيف وعلى أني لست أيضاً لست أرى المعنى جيّداً.

وكقول الفرزدق:

والشيب ينهض في الشباب كأنّه ... ليل يصيح بجانبين نهاد[1]

د ـ وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأة:

وفوها كأقاحيّ ... غذاهُ دائم الهطل
كما شيب براح با ... ردٍ من عسل النّحل

وكقول الخليل بن أحمد العروضي:

إن الخليط تصدّع ... فطِر بدائك أو قع
لولا جَوار حسان ... حور المدامع أربع

---

(١) في رواية الأغاني: والشيب ينهض في السواد.

أم البنين وأسماء والرَّباب وبوزع
لقلت للراحل ارحل إذا بدا لك أو دع

وهذا الشعر بيّن التكلف رديء الصنعة، وكذلك أشعار العلماء، ليس فيها شيء واحد عن إسماع وسهولة، كشعر الأصمعي وشعر ابن المقفع وشعر الخليل، خلا خلف الأحمر، فإنه كان أجودهم طبعاً وأكثرهم شعراً.

ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين وبوزع لكفاه! منذ كان جريراً أنشد بعض خلفاء بني أمية قصيدته التي أوّلها:

بان الخليط برامتين فودَّعوا أوَ كلما جدُّوا لبين تجزع[1]
كيف العزاء ولم أجد مذ بنتم قلباً يقرّ ولا شراباً ينقع[2]

وهو يتحفز ويزحف من حسن الشعر، حتى إذا بلغ إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئتِ بغيرنا يا بوزع!

قال له: أفسدت شعرك بهذا الاسم، وفتر.

قال أبو محمد:

وقد يقدح في الحسن قبح اسمه، كما ينفع القبيح حسن اسمه، وترد عدالة الرجل بكنيته ولقبه. ولذلك قيل: اشفعوا بالكنى، فإنها شبهة.

وتقدم رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: ادع أبا الكويفر ليشهد، فتقدم شيخ فرده شريح ولم يسأل عنه وقال: لو كنت عدلاً لم ترض بها، ورد آخر بلقب أبا الذبان ولم يسأل عنه.

وسأل عمر رجلاً أراد أن يستعين به على أمر عن اسمه واسم أبيه، فقال: ظالم بن سرّاق. فقال: تظلم أنت ويسرق أبوك! ولم يستعن به.

وسمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يدعو رجلاً: يا أبا العمرين. قال: لو كان له عقل

---

(١) البين: الفراق.

(٢) بنتم: من البين وهو البعد. يقر: يطمئن. ينقع: يقال أنقع الماء فلاناً: أرواه.

كفاه أحدهما.

ومن هذا الضرب قول الأعشى:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني ... شاوٍ مِشلٌ شلولٌ شلشلٌ شَولُ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، وكان قد يستغني بأحدها عن جميعها. وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله:

وكأس شربت على لذّة ... وأخرى تداويت فيها بها

حتى قال أبو نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

فسلخه وزاد فيه معنى آخر، اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه، فللأعشى فضل السبق إليه، ولأبي نواس فضل الزيادة فيه، وقال الرّشيد للمفضل الضبي:

اذكر لي بيتاً جيّد المعنى، يحتاج إلى مقارعة الفكر في استخراج خبيئه ثم دعني وإياه.

فقال له المفضل:

أتعرف بيتاً أوله أعرابي في شملته هاب من نومته، كأنما صدر عن ركب جرى في أجفانهم الوسن فركد، يستفزهم بعنجهية[1] البدو وتعجرف الشدو وآخره مدني رقيق قد غذي بماء العفيف؟

قال: لا أعرفه.

قال: هو بيت جميل بن معمر: ألا أيها الركب النِّيام ألا هبوا.

ثم أدركته رقة المشوق فقال: أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحب؟

قال: صدقت. فهل تعرف أنت الآن بيتاً أوله أكثم بن صيفي، في أصالة الرأي ونبل العِظة، وآخره أبقراط في معرفته بالداء والدواء.

قال المفضل: قد هوّلت عليّ، فليت شعري بأي مهر تقترع عروس هذا الخِدر؟

قال: بأصفائك وأنصافك، وهو قول الحسن بن هانئ:

---

(١) العنجهية: لغة معانٍ منها: الجهل والكبر والغطرسة والخشونة.

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فالشاعر المجيد، من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام، فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع وبالنفوس ظمآن إلى المزيد.

وقيل لعلقمة بن علقة: ما لك لا تطيل الهجاء؟

فقال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق.

ومن الشعراء المتكلّف والمطبوع، فالمتكلف هو الذي قوّم شعره بالثقاف[1] ونقّحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة.

وكان الأصمعي يقول:

زهير والحطيئة وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر. لأنهم نقّحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان الحطيئة يقول:

خير الشعراء الحولي المنقح المحلّك. وكان زهير يسمي كبر قصائده الحوليات[2]. وقال سويد بن كراع يذكر تنقيحه شعره[3]:

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سرباً من الوحش نزّعا[4]

وقال عدي بن الرّقاع:

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوّم ميلَها وسنادها

وللشعر دواعٍ تحث البطيء، وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب.

وقيل للحطيئة: أي الناس أشعر؟

---

(١) الثقاف: آلة تثقف بها الرماح، أي تقوّم.

(٢) الحوليات: واحدتها حولية، أي قصيدة ينظمها الشاعر ويعاود النظر فيها، تهذيباً وتنقيحاً، ولا يخرجها للناس إلا بعد حول، أي عام من الزمن.

(٣) نقّح الشعر: هذّبه وقوّمه.

(٤) أصادي بها: وفي رواية من صادى مصاداة (جـ) عارضه، وفي رواية به.

فأخرج لساناً دقيقاً كأنه لسان حية، وقال:

هذا إذا طمع.

***

٢ ـ عيوب الشعر:

ـ الإقواء والإكفاء:

الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة، كقول النابغة:

قالت بنو عامر: خالوا بني أسد   يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

وقال:

تبدو كواكبه والشمس طالعة   لا النّور نور ولا الإظلام إظلام

لأقوامِ (بكسر الميم)، وإظلامُ (بضم الميم) إقواء.

وبعضُ الناس يسمي هذا (الإكفاء). ويزعم أنّ الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت: كحجل بن نضلة، وقد أسر بنت عمرو بن كلثوم وركب بها المفاوز واسمها النوار:

جنّت نوار ولات هنّا جنّت   وبدا الذي كانت نوار أجنّت[1]

لما رأت ماء السلا مشروباً   والفرث يعصر في الإناء أرنت[2]

قال: مشروباً، وكان يستوي البيت لو قال متشرباً.

وهذا الإقواء كما قيل.

ويُقال: أقوى فلان الحبل، إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى، وهو حبل قوي، وكقول الربيع بن زياد:

---

(١) أجنت: سترت وأخفت.

(٢) يقول: إنها حين أيقنت أن لا ماء يشرب إلا ماء السلا، الذي يخرج من بطون الإبل أو ما يعصر من فرثها.

أرنت: صاحت وبكت.

أفبعــد مقتــل مالــك بــن زهــير   ترجــو النســاء عواقــب الأطهــار

ولو كان «بن زهيرة» لاستوى البيت.

ـ السِّناد:

السِّناد هو أن يختلف أرداف القوافي، كقولك:

«علينا» في قافية «وفينا» في أخرى. كقول عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

فالحاء مكسورة، وقال في آخر:

تصفقها الرياح إذا جرينــا

فالراء مفتوحة وهي بمنزلة الحاء. وكقول القائل:

كأن عيونهـن عيـون عـين

ثم قال:

وأصبح رأسه مثل اللجين

ـ الإبطاء:

وهو إعادة القافية مرتين، وليس بعيب عندهم كغيره.

ـ الإجازة:

اختلفوا في الإجازة، فقال بعضهم: هو أن تكون القوافي مقيّدة الأرداف كقول امرئ القيس:

لا يدعي القوم أني آخر

فكسر الرِّدف، وقال في بيت آخر:

ألحقــت شــراً بشــر

ففتح الرِّدف.

وقال الخليل بن أحمد:

هو أن تكون قافية ميماً والأخرى نوناً، كقول القائل:

يـــا ربّ جعـــد منـــهم لـــو تـــدرين   يضـــرب ضـــرب السِّـــبط المقـــاديم

أو طاء والأخرى دالاً كقول القائل:

تـــــالله لـــــولا شـــيخنا عبّـــــاد   لكمرونــــــا عنـــــدها أو كـــــادوا[1]

فرشـــــط لمـــــا كـــــره الفرشـــــاط   بفيشـــــــة كأنهـــــا ملطـــــاط[2]

وهذا إنما يكون في الحرفين، يخرجان من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين.

ـ العيب في الإعراب:

وقد يضطر الشاعر فيسكّن ما كان ينبغي له أن يحرك، كقول لبيد[3]:

تـــــرّاك أمكنـــــة إذا لم أرضـــــها   أو يعتلـــقْ بعـــض النّفـــوس حمامهـــا

فالشاعر أسكن فعل (يعتلق) وقبلها أو وهي بمعنى (حتى).

ـ الإيجاب والسلب:

ومما جاء من الشعر على طريق الإيجاب والسلب، قول عبد الرحمن بن عبد الله:

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصـــروا   خلافكـــم فالقتـــل أعفـــى وأيســـر

فأوجب هذا الشاعر للقتل والهجر، أنهما مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: القتل أعفى وأيسر. فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر، وليس هو مثله، وأرى أن هذا الشاعر، أراد أن يقول: بل القتل أعفى وأيسر. ولو قال بل لكان الشعر مستقيماً.

***

---

(١) كمرونا: من تكامر، يُقال: كامره فكمره أي غلبه بعظم الكمرة.

(٢) فرشط: من الفرشطة وهي أن يفرج أحدهم رجليه وهو قاعد أو قائم.

الملطاط من الرحى: يدها.

(٣) لبيد بن ربيعة: شاعر مخضرم من مخضرمي الجاهلية والإسلام، ومن أصحاب المعلقات، والبيت من معلقة لبيد.

عيب المعنى وائتلاف اللفظ

ـ عيب المعنى:

ومن عيب المعنى إيقاع الممتنع فيها، في حال ما يجوز وقوعه. كقول أبي نواس:

يـــا أمــين الله عـــش أبـــداً دُمْ علـــى الأيّـــام والزّمـــن

فترى الشاعر وقد تفاءل للمدوح بقوله:

عش أبداً ودم على الأيام والزمن، وهذا مما لا يجوز ومستقبح.

ومن عيب المعنى قول المرار:

وخال علــى خــدّيك يبــدو كأنّـــه سنا البرق في دعجــاء بــاد دجونهــا

فالمتعارف المعلوم أنّ الخالين سوداء وما قاربها، في ذلك اللون، والخدود الحسان، إنما هي البيض، وبذلك تنعت، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى.

ـ عيب ائتلاف اللفظ:

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى، ومثال ذلك قول عروة بن الورد:

عجبت لهـــم إذ يقتلـــون نفوســـهم وقتلهم عند الـــورى كـــان أعـــذرا

وإنما أراد أن يقول:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم وقتلهم عند الوغى أعذر، فترك (في السلم).

(ومنه الحشو) وهو أن يُحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه، لإقامة الوزن. مثال ذلك، ما قاله أبو عدي العبشمي:

نحـــن الـــرؤوس ومـــا الـــرؤوس إذا سمت في المجـــد للأقـــوام كالأذنـــاب

فقوله (للأقوام) حشو، لا منفعة فيه.

الخاتمة

من جد وجد، ومن زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل.

نعم فلقد سرنا معاً، وتجولنا في هذا البستان الرائع والجميل:

«الإيجاز في الألفاظ»

وكانت لنا وقفات تأمل، ومحطات مختلفة ومنوعة مع هذه: الأقوال، والأفواه، والأقلام، وأصحاب العقول النيّرة. والتي أعطت وأمدّت وأثرت المكتبة العربية بينابيع العلم والأدب والمعرفة والثقافة، وغيرها، لتكون بمثابة خير الزاد لطالبه. وعنوان عز وفخار في جبين أبناء هذه الأمة الخيّرة.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأخيراً حطّت بنا الرّحال في المرحلة الأخيرة، بعد أن عرفنا بأن هذه الأقوال مصادرها عديدة ورفيعة، أعظمها وأقواها وأبقاها ما صدر من رب العالمين سبحانه وتعالى، ومن أشرف المرسلين سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونطقت ألسنة الصحابة رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والكثيرون من أصحاب العقول والرأي السديد، ومن ملك ناصية الفصاحة والبيان من علماء وشعراء وأدباء وغيرهم.

فامتلأت صفحات الأدب والعلم والأخلاق بهذه الأقوال البديعة في لفظها ومعناها.

وإنه لباب واسع لا يلجه إلا حملة الأقلام الأعلام، وأصحاب النهى ممن أوتوا العلم

الكثير. وحسن القول والتدبير.

إنّ تناول اللفظ الموجز والمعبر عن معنى أو معانٍ كبيرة ليس بالأمر الهيّن.

وكلما كانت كلمات القول معدودة قليلة، كانت أقوى وأعم.

والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة، وجئنا بالعشرات بل بالمئات منها في ثنايا وقلب كتابنا:

«الإيجاز في الألفاظ»

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- «الأمور بخواتمها».

- «من الحبة تنشأ الشجرة».

- «من اتكّل على زاد غيره، طال جوعه».

- «تجري الرياح بما لا تشتهي السفن».

- «أنجز حرٌّ ما وعد».

والحمد لله الذي أعانني على هذا العمل، مع تواضعه، وعظيم نفعه، وخيره. وقد بذلت فيه ما استطعت من جهد ومقدرة.

وقد تمّ بعون الله.

تزول الأجسام . . .

وتجف الأقلام . . .

وتبقى الحروف مع الأيام . . .

المؤلف

المصادر والمراجع

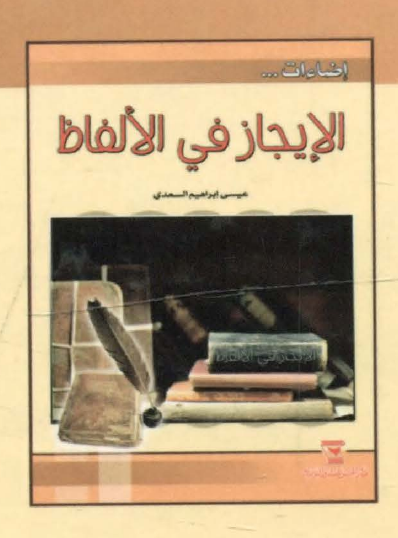
* القرآن الكريم

تفسير ابن كثير	الإمام ابن كثير
زبدة التفسير	الإمام الشوكاني
سيرة ابن هشام	ابن هشام
صحيح الإمام مسلم	شرح الإمام النووي
صحيح الإمام مسلم	مسلم بن الحجاج النيسابوري
لسان العرب	ابن منظور
معجم كلمات القرآن الكريم	محمد عدنان سالم ورفيقه
المعجم الوسيط	د. ناصر سيد أحمد ورفاقه
المستطرف في كل فن مستظرف	الأبشيهي
الحيوان	الجاحظ
البيان والتبيين	الجاحظ
الشعر والشعراء	ابن قتيبة
طبقات الشعراء	ابن سلام الجمحي
العقد الفريد	ابن عبد ربه
جماليات الشعر العربي	عيسى السعدي
موسوعة روائع الحكمة	د. روحي البعلبكي
قاموس الأقوال الضاحكة	سمير شيخاني
تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات
في الأدب الجاهلي	د. طه حسين
اللباب	محمد علي السَّرَّاج

دراسة في الأمثال	إحسان الفرحان
كتاب الأمثال	الميداني
نقد الشعر	قدامة بن جعفر
صبح الأعشى	القلقشندي
العمدة	ابن رشيق
عيار الشعر	ابن طباطبا
الموازنة	الآمدي
الوساطة بين المتنبي وخصومه	علي عبد العزيز
المثل السائر	ابن الأثير
الكامل	المبرد
مختار القاموس	الزاوي
مفحمات الأقران في مبهمات القرآن	السيوطي
شرح القصائد العشر	التبريزي
تاريخ الأدب العربي	حنا فاخوري
العصر العباسي الأول	د. شوقي ضيف
العصر العباسي الثاني	د. شوقي ضيف
مع المتنبي	د. طه حسين
الأغاني	أبو الفرج الأصبهاني
الحماسة	أبو تمام
الخنساء	ديوانها
ديوان جرير	دار صادر ـ بيروت
ديوان زهير بن أبي سلمى	
ديوان المتنبي	
ديوان امرئ القيس	دار صادر ـ بيروت
دراسات في النقد الأدبي	رشيد العبيدي
نقد الشعر	قدامة بن جعفر. تحقيق: د. محمد عبد المنعم

الفهرس

التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني قسم الكمبيوتر في / دار الحسن للنشر والتوزيع ـ هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ ـ عمّان



صدر ... للمؤلف

الصديق في العلوم والآداب والأخلاق.
الإذاعة المدرسيّة.
محطات ومقالات.
المورد الشافي.
أضواء وأسماء.
الاستفهام والإعجاز القرآني.
الروضة السندسية في المعارف الزكية.
جماليات الشعر العربي.
امرؤ القيس.
العباس بن الأحنف.
الخنساء.
جذور المعرفة.
نور على نور.
الإيجاز في الألفاظ.
العقاد ـ العبقري العملاق.
خير الزاد.
الفريد في النحو العربي.
القواعد الأساسية للمرحلة الأساسية.
اللغة العربية، صرفها ونحوها وفن الإعراب.



هاتف المؤلف ٠٧٩٦١١٤٤٠٦

يصدر ... قريباً

الشافية في العَروض والقافية.
الألفية في الشعر والنحو.
جولة في بستان المعرفة (ثلاثيات).
الإعلام المدرسي (المقروء والمسموع والمرئي).
المتنبي ـ شاعر الحكمة.
زهير بن أبي سلمى ـ شاعر الحوليات.
أبو فراس الحمداني ـ شاعر الروميات.
ابن زيدون ـ شاعر الحب والشكوى.






دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف: 4648975 - فاكس: 4648975
ص.ب 182742 - عمان 11118 - الأردن
e.mail: alhassanpub@hotmail.com

ISBN 978-9957-10-035-3

